مناهج البحث والمصادر

في الدراسات الإسلامية والعربية

الدكتور محمد السعيد جمال الدين
الأستاذ بجامعة عين شمس





الطبعة الخامسة

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

ملتزم التوزيع



القاهرة

دار القلم للنشر والتوزيع بالقاهرة
٣٦ شارع القصر العيني – الدور الثانى – شقة ٤
تليفـــــون وفاكـــــس : ٧٩٥١١٠٥
ص . ب : ٦٥ مجلس الشعب – القاهـــرة
محمول : ٠١٠١٤٦٩٠٤٥ – ٠١٠٥١٣٧٧١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأحقاف : ١٥ .

مقدمة

تعد مناهج البحث حجر الزاوية فى الدراسات الجامعية المتخصصة ، واللبنة الأولى فى بناء التفكير العلمى الجاد الرصين لدى علماء المستقبل ، الذين يقودون ركب التقدم فى كل المجالات . ومن ثم أولت الجامعات فى الأقطار العربية والإسلامية اهتماماً خاصاً بمناهج البحث ، فقرّرتها كمادة مستقلة يدرسها طلاب المرحلة الجامعية الأولى ، ولم تكتف بالدراسة النظرية لهذه المادة بل أضفت عليها طابعاً تطبيقاً بأن عمدت إلى تكليف الطلاب ـ فى سائر سنوات دراستهم الجامعية ـ بإعداد أبحاث فى مجالات تخصصهم تحت إشراف الأساتذة ، فاكتملت الفائدة بذلك ، وأصبحنا نشهد حماس الطلاب لارتياد المكتبات والاطلاع على أمهات المصادر والمراجع والتدرب على إعداد الأبحاث الممتازة النافعة ؛ الأمر الذى يؤكد نجاح هذه الخطة الحميدة المبرورة ، ويبشر بكل خير وفلاح .

وقد قيض الله لى أن أقوم بتدريس مناهج البحث والمصادر فى عدد من الجامعات العربية .

ومن خلال تجربتى فى تدريس هذا الموضوع تبين لى أن مناهج البحث والمصادر ـ لا سيما فى مجال الدراسات الإسلامية العربية ـ بحاجة إلى مزيد من العناية والدرس ، لاستخلاص الأسس القويمة التى قامت عليها العلوم، والقواعد التى قررها العلماء المسلمون ، والتقاليد التى أرسوها فى عصور النور والازدهار . ولا ريب فى أن هناك عدداً من المحاولات الناجحة قد بذلت لاستخلاص هذه

الأسس والتقاليد العلمية التى تم إرساؤها فى هذا المجال عبر القرون المتطاولة من الزمن ، غير أن الأمر مازال بحاجة إلى مزيد من الدرس والإيضاح .

إننا بهذا الكتاب نحاول ـ بعون من الله تعالى ـ أن نسهم فى تبديد الغيوم التى حجبت جوانب أصيلة من إسهام العلماء المسلمين فى بناء صرح هذا العلم، ونلقى الضوء على ناحية من النواحى التى حققوا فيها إنجازاً لا يبارى فى تقدم العلوم وتطوير الحياة الإنسانية. كما نحاول تهيئة مناخ الفكر العربى والإسلامى لاستقبال روح جديدة تتمثل فى حماس طلابنا النجباء للبحث العلمى الجاد،وهى روح لا تنتظر توجيها من الشرق أو من الغرب، بل تبعث فى الفكر الحياة والنُّضرة والازدهار من ينابيعها الأصيلة المتجددة الكامنة فى أعماقها.

* * *

وينقسم هذا الكتاب إلى سبعة أبواب ، نتناول فى الباب الأول البحث العلمى : تاريخه وتطوره ، وتعريفه وأنواعه ، ثم نتحدث عن الصفات التى ينبغى توافرها فى الباحث ، والأخلاقيات والآداب المرعية بين الباحثين .

ونقدم فى البابين الثانى والثالث المراحل التى ينبغى اجتيازها ـ الواحدة تلو الأخرى ـ لإعداد البحث العلمى ، ونبدأ هذه المراحل باختيار موضوع البحث وتنتهى بكتابة البحث وتقديمه .

ونظراً لأهمية المكتبات بالنسبة للباحثين فقد أفردنا لها باباً بأكمله ، هو الباب الرابع ، ولما كانت المخطوطات تعد أنفس مقتنيات المكتبات فقد خصّصنا للحديث عنها فصلاً من الفصول الثلاثة التى يضمها هذا الباب .

وانتقلنا فى الأبواب الثلاثة الأخيرة إلى دراسة المصادر ، فتحدثنا فى الباب الخامس عن مصادر الشريعة الإسلامية ، وفى الباب السادس عن مصادر الدراسات الأدبية ، وفى الباب السابع عن مصادر الدراسات التاريخية الإسلامية .

ولقد حاولنا فى عرضنا لهذه الموضوعات وتحليلنا لهذه الأفكار أن نركز - بقدر الإمكان - على الأسس لهذه التى أقرها علماؤنا الأوائل من خلال تجاربهم الطويلة الشاقة فى طلب العلم والمعرفة ، فنستشهد بأقوالهم ونتعرض بالشرح لآرائهم ، ونتخذ من توجياتهم نبراساً ينير السبيل أمام الباحثين . ولذلك ستقرأ بين الحين والحين آراء لعدد من هؤلاء العلماء ، كالحسن بن الهيثم ، وابن تيمية ، وأبى حامد الغزالى ، وأبى الريحان البيرونى ، وابن خلدون ، وحاجى خليفة ، وغيرهم فى الموضوعات التى نعرض لها فى هذا الكتاب . وسيلاحظ القارىء أنها آراء تكاد تكون نهائية فى بابها ، وأنها إنما تنم عن وعى كامل وعميق بأهمية العلم للإنسانية وبالمهمة الملقاة على عاتق العلماء والمفكرين .

وقد بذلنا غاية الوسع من أجل تقريب الأفكار وتبسيط المعلومات العلمية ، والابتعاد عن التعقيد ، والتركيز على المعلومات الأساسية ، لكى يكون هذا الكتاب فى متناول شبابنا الذين يخطون خطواتهم الأولى - فى طريق البحث العلمى .

ولا يسعنى - فى صدر هذا الكتاب - إلا أن أقدم الشكر الجزيل لأخى وصديقى الدكتور عبد الله محمد جمال الدين الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة على المساعدات القيمة والمجهودات المضنية التى بذلها معى فى إخراج هذا الكتاب .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . والحمد لله رب العالمين .

القاهرة فى ٥ شوال ١٤٢٣ هـ

الموافق ٩ ديسمبر ٢٠٠٢ م

محمد السعيد جمال الدين

الباب الأول

البحث العلمى
تاريخه ، تعريفه ، وتقاليده

يشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول ، نحاول من خلالها الإلمام بفكرة البحث العلمى ، وتطوره إلى وقتنا الحالى ، والتقاليد أو الأخلاقيات التى أقرها العلماء للبحث العلمى .

فالفصل الأول : يتناول مناهج البحث العلمى : تاريخها وتطورها .

والفصل الثانى : يتناول تعريف البحث وأنواعه .

والفصل الثالث : يتناول صفات الباحث وأخلاقيات البحث العلمى .

الفصل الأول

مناهج البحث العلمى تاريخها وتطورها

يجب أن نعلم بادىء ذى بدء أن مناهج البحث الحديثة فى كل العلوم إنما تقوم على الاستقراء والتجربة قبل أن تقوم على القياس والبرهان . وأن هذه المناهج إنما سبق إليها علماء المسلمين وتوصلوا إليها قبل أن يتوصل إليها الأوربيون ، بل إن الأوربيين أنفسهم تعلموها عن العرب فى الأندلس وغيرها من معابر الحضارة الإسلامية .

وسنحاول فى هذا الفصل أن نعرض فى اختصار لتاريخ مناهج البحث وتطورها .

وضع أرسطو فيلسوف اليونان قوانين عامة للفكر الإنسانى تعصمه من الزلل فى التفكير . وأطلق على هذه القوانين اسم « المنطق » أو « نَحْوُ التفكير » .

وانتقل منطق أرسطو إلى العالم الإسلامى فى أوائل القرن الثانى من الهجرة، فقبله بعض المسلمين ورفضه آخرون ، على اعتبار أنه يخالف روح الإسلام . وكان ممن رفضه العلماء التجريبيون العرب كجابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء ، وعلماء أصول الفقه وعلماء أصول الدين ، والفقهاء كالإمام الشافعى وشيخ الإسلام ابن تيمية الذى بين أن منطق أرسطو يقيد الفطرة

الإسلامية بقوانين صناعية متكلّفة فى الحد والاستدلال ، وأن الإسلام يتجه إلى الوفاء بالحاجة الإنسانية المتغيرة ، بينما منطق أرسطو يعد قوانين كلية نظرية عامة ثابتة غير متغيرة . لهذين السببين ـ وغيرهما [١] ـ رفض علماء المسلمين منطق أرسطو كمنهج للبحث والتفكير .

ولكن هؤلاء العلماء لم يتوقفوا عند حد الرفض والهدم ، وإنما عمدوا إلى البناء ، فبنوا منهجا جديداً كان فى الواقع من أكبر الاكتشافات فى تاريخ الحضارة الإنسانية ، ونعنى به المنهج التجريبى الاستقرائى ، وهو منهج يعتمد على دراسة الظواهر ورصدها ، اعتماداً على المشاهدة والتجربة .

نشأة المنهج التجريبى الاستقرائى

لم يكن المسلمون مقلّدين لليونان ـ كما يزعم بعض الغربيين ـ بل إنهم ـ كما لاحظنا ـ أهملوا منهج البحث الإغريقى (المنطق الأرسطى) الذى على أساسه أقام الإغريق نظرياتهم العلمية ، وعدوا هذه النظريات ناقصة غير مكتملة، لأنها إنما تستند على منهج غير متكامل ونظرة قاصرة ، لعدم اعتماد هذه النظرة على الواقع العملى وعلى المشاهدة الواقعية .

ولو لم يفعل علماء المسلمين ذلك ، لساروا فى نفس الطريق المسدود الذى سار فيه علماء الإغريق من قبل ، ولداروا فى نفس الحلقة المفرغة التى دار فيها أولئك الإغريق ، ولما حققوا ما حققوه من منجزات علمية هائلة قفزت بمسيرة التقدم الإنسانى إلى الأمام ، ووضعته فى مقدمة عصر الازدهار العلمى الذى لا يتوقف أبداً ، وفتحت بذلك باباً أمام أمم لم يكن لها نصيب يذكر من العلم والمعرفة لكى تحقق ـ انطلاقاً من تمسكها بمعايير البحث العلمى القائم على

---

(١) انظر فى تفصيل ذلك : الدكتور على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، طبع مصر ١٩٧٨ م ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٨ .

المشاهدة والتجربة ـ تحقق من مظاهر النهضة والوعى ما جعلها تتقدم ركب الإنسانية فى الاكتشافات والمخترعات .

لم يكن المسلمون ينظرون إلى العلم باعتباره كلاما أجوف وثرثرة لا طائل وراءها ـ كما كان أسلافهم يفعلون ـ وإنما نظروا إلى العلم بكل قدسية واحترام، وعرفوا أهميته بالنسبة لتقدم الإنسانية ووصولها إلى المركز المرموق الذى أراده الله لها فى الكون ، وركزوا اهتمامهم على الجانب العملى أكثر من الجوانب الفلسفية والنظرية ، فوضعوا أسس « المنهج العلمى» على نحو تطبيقى (لا نظرى) قوامه الاستقراء والقياس والتمثيل .

حقاً ، لقد تغير مزاج العالم كله بظهور الإسلام ، واتجهت الإنسانية وجهة جديدة عندما بدأ علماء المسلمين يبرزون فى ميدان العلوم منذ أواسط القرن الثالث الهجرى[1] ، فطرحوا الأوهام والسفسطة جانباً ، وعمدوا فى كل مسألة إلى البحث عن الدليل ، والنهى عن التقليد ، وعدم الثقة بالنص إلا بعد مطابقته للعقل وإقرار مصدره وتحليله تحليلاً نقدياً دقيقاً .

ولقد اعترف بعض العلماء المنصفين من الغربيين بفضل الفكر الإسلامى فى هذا المجال ، فقد قال الأستاذ « بريفولت » :

« إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ، إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود .. إن أساليب البحث وجمع المعلومات الإيجابية والملاحظات الدقيقة المستمرة والبحث التجريبى ، كل ذلك كان غريبا تماماً عن المزاج اليونانى ... أما ما ندعوه العلم فقد ظهر فى أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، وهذه الروح وتلك المناهج

(١) انظر : فؤاد سزكين ، محاضرات فى تاريخ العلوم ، طبع الرياض ١٣٩٩ ، ص ١٢ .

العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوربى » [1] .

وهكذا يعترف « بريفولت » بأن أكبر إنجاز قدمه العلماء المسلمون إلى العالم إنما هو المنهج السديد الذى يعد أساس الانطلاق فى كل العلوم .

نقد علماء المسلمين للنظريات السابقة

لقد أفاد المسلمون من الإغريق وغيرهم بقدر ما نقدوهم ، ولكن نقدهم « كان على طراز خاص بالعلماء العرب ، أقل ما نصفه أنه نقد بأسلوب أخلاقى ، وأن أصحابه أدركوا بوضوح قانون تطور العلوم . ففى رأى هؤلاء العلماء أن الخلف مدين للسلف دون أن ينقص من قدرهم وقوعهم فى بعض الزلآت أو الهفوات ، وأنه ليس ثمة ما يمنع من الاستدراك على الأسلاف شريطة ألا ينطوى ذلك على الإسراف فى التجريح والتضليل . وفى اعتقاد العلماء المسلمين أنه ما من عالم ـ مهما بلغ شأنه ـ معصوم من الخطأ منزّه عن الزلل . هذه المبادىء أرست لديهم الأسس الأخلاقية للنقد وأدت بهم إلى جعل النقد عندهم مفيداً مثمراً » [2] .

ومن بين من وجهوا النقد لمعطيات الفكر اليونانى ، ابن حزم الأندلسى ، الذى يقول : زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل ، وأنها ترى وتسمع ، وهذه دعوى بلا برهان ، وصح الحكم بأن النجوم لا تعقل أصلا .

وفى ميدان الطب والبصريات رد الرازى على إقليدس وجالينوس قولهما فى كون روية الأشياء تتكون بخروج شعاع الإبصار من العين إلى الأشياء . ويصرّح

(١) نقلا عن : محمد إقبال : تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ، ترجمة عباس محمود ، طبع مصر ١٩٥٥ ، ص ١٢٤ .

(٢) فؤاد سزكين ، محاضرات فى تاريخ العلوم ، ص ١٨ .

الرازى بأن الرؤية تحدث بوصول الضوء من المادة إلى العين ، كما يرى أن حدقة العين تتغير كبراً وصغراً بمقدار قوة الضياء الذى يدخل فيها .

كان نقد العلماء العرب للفكر الإغريقى وغيره نقداً موضوعياً مهذّباً ، يتسم بسمو الأخلاق والإحساس بثقل المهمة الملقاة على العلماء .

روح الإسلام وأثرها فى نشأة هذا المنهج

والحقيقة أن علماء المسلمين كانوا يصدُرون فى أعمالهم وجهودهم عن روح الإسلام الحقة التى تدعو إلى الأخذ بأسباب العلم . فلقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٢) .

وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله تعالى خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة . لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدّث فى الخلوة ، والدليل على السرّاء والضرّاء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء . يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة ، وأئمة تُقتفى آثارهم، ويُقتدى بفعالهم ، ترغب الملائكة فى خُلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامّه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ، والتفكر فيه يعدل الصيام ،

(١) سورة الزمر : آية ٩ . (٢) سورة طه : آية ١١٤ .

ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يُعرف الحلال والحرام ، هو إمام والعمل تابعه ، ويُلْهَمُهُ السعداء ، ويُحْرَمُهُ الأشقياء » [1] .

ولقد وردت فى الحضّ على تعلم وتعليمه أحاديث كثيرة للنبى ﷺ تدل على أن طلب العلم ليس ترفاً أو تزيداً بل هو فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن مداد العلماء المتّقين ليوزن فى ميزان الخير والحسنات بدم الشهداء ، فيرجع مداد العلماء .

شخصيات إسلامية بارزة فى تاريخ العلوم

بهذه الروح الإسلامية الحقة ، وبهذا الضمير العلمى الذى ينشد الخير لذات الإنسان أولاً ثم للبشرية جمعاء بعد ذلك ، ويتطلع إلى أن يرقي بها مدارج الرقى والتقدم ، وبالمنهج التجريبى الاستقرائي الذى توصل إليه العلماء المسلمون تمكنوا من تحقيق منجزات هائلة فى شتى المجالات العلمية وبرز منهم علماء كانوا أساتذة للحضارة الغربية فى مختلف العلوم .

والآن علينا أن نستعرض بعض الأسماء اللامعة لعلماء المسلمين والمنجزات العلمية التى حققوها فى بعض المجالات ، وهى المنجزات التى جعلتهم بحق نقطة تحول فى تاريخ العلوم وتقدمها :

١ ـ **جابر بن حيان** : مؤسس علم الكيمياء ، أول من استحضر حامض الكبريتيك وكشف الصودا الكاوية ، واستحضر ماء الذهب .

٢ ـ **الخوارزمى** : أول من وضع علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب .

(١) أورده ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ، بإسناده ، وقال هو حديث حسن جداً وفى إسناده ضعف ، وروى أيضا من طرق شتى موقوفاً على معاذ . انظر : حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، المقدمة ص ١٩ ـ ٢٠ طبع مطبعة المثنى ببغداد .

٣ ـ **أبو الريحان البيرونى** : جمع معارف الهنود وعلومهم فى كتابه الكبير: « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » قال عنه المستشرق الألمانى إدوارد سخاو ـ الذى عكف على دراسة مؤلفاته ـ إنه أعظم عقلية رياضية عرفها التاريخ .

٤ ـ **ابن الهيثم** : لولاه لما كان علم البصريات ، وهو صاحب الاكتشافات الباهرة فى علم الضوء وانكساره فى الجو ، أقام بحوثه على الاستقراء والقياس ، والاعتماد على المشاهدة والتجربة .

٥ ـ **ابن خلدون** : صاحب المقدمة التى اشتهر بها وعُدّ مؤسسا لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ .

٦ ـ **أبو الثناء الإصفهانى** : تحدث عن فكرة كشف الأرض الجديدة قبل رحلة كولمبس بنحو قرن ونصف قرن .

٧ ـ **الزهراوى** : عرف أكثر من مائتى آلة ومبضع ، وكان عالماً فى طب الأسنان ، وهو أول من كتب إحصائية صحيحة لأمراض النزيف الدموى .

٨ ـ **ابن سينا** : تُرجم كتابه « القانون » فى الطب فى خمس عشرة طبعة إلى اللغة اللاتينية وغيرها ، وبحث فى أجزائه العقاقير والأدوية فى سبعمائة وستين نوعاً ، وظلت مؤلفاته أساساً للمباحث الطبية فى جامعات فرنسا وإيطاليا ستة قرون .

٩ ـ **على بن عيسى** : صاحب أكبر مؤلف فى طب العيون ، تناول فيه طبيعة العين وكيفية تشريحها ، وأمراض العيون وحدد مائة وثلاثة وأربعين دواء كان يستعملها فى علاج هذه الأمراض .

١٠ ـ **الكاشى** : واضع أساس الكسر العشرى .

وفيما يلى موجز عن بعض اكتشافات المسلمين وسبقهم فى مختلف العلوم:

* عرفوا طبيعة كثير من الأمراض ، واستعملوا الأمصال فى معالجة بعض الأمراض ، ووصفوا تشريح الجسم الإنسانى وصفاً دقيقاً .

* اخترعوا الساعات الدقّاقة والزوالية ، واكتشفوا قوانين ثقل الأجسام .

* استخرجوا قوة البارود الدافعة ، واستعملوا الآلات القاصفة ، وأتقنوا فن تسقية الفولاذ .

* كانوا أول من استخدم البوصلة فى الملاحة ، واكتشفوا الإبرة المغنطيسية.

* علوم العرب فى الجغرافيا والفلك هى صاحبة الفضل الأكبر فى الكشف عن الأمريكتين واتجاه الملاحين فى الرحلة إلى عالم المجهول .

* سجل ابن البيطار ١٤٠٠ عقاراً لم يعرف اليونان منها غير ٤٠٠ عقار ، والألف اكتشفها العرب وحددوا منافعها ومضارها .

* علّل العرب صعود الماء فى العيون والفوّارات ، وتَجَمُّعَ الماء فى العيون والقنوات .

* بحثوا فى الصوت ، وعللوا حدوث الصدى ، كما بحثوا فى الأوتار واهتزازها .

* اقتبس العرب الأرقام الهندية وشذّبوها ، وأوجدوا لها طريقة مبتكرة وهى الإحصاء العشرى باستعمال الصفر ، ولقد قال أحد علماء الرياضة الغربيين إن

فكرة الصفر من أعظم الهدايا العلمية التى قدمها علماء المسلمين للعالم .

* أنشأ العرب العديد من المراصد ، ووضعوا الأزياج الدقيقة الكبيرة الفائدة، وحققوا مواقع كثير من النجوم ، وحسبوا طول السنة الشمسية ، ووضعوا جداول دقيقة للنجوم الثوابت وصوّروها فى خرائط .

* لم تعرف الجامعات فى أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادى مرجعاً للطب والعقاقير أوفى من كتب الرازى وابن سينا وابن الهيثم .

* أنشئ أول مصنع للورق فى سمرقند فى القرن الثانى الهجرى ، ثم فى بغداد فى زمن الرشيد ثم فى دمشق ، ودمياط ، ومراكش ، وصقلية ، وأسبانيا . ولم يحلّ منتصف القرن الرابع الهجرى إلا وتعددت أنواع الورق العربى[١] .

إلى غير ذلك من المنجزات العلمية التى أحرز بها المسلمون ـ باستخدامهم للمنهج التجريبى ـ قصب السبق فى سائر المجالات[٢] .

انتقال العلوم العربية إلى أوروبا

لقد وضع المسلمون المنهج التجريبى الاستقرائى بكل عناصره ، ولا يمكننا أن نعزو وضع هذا المنهج إلى شخص بعينه ، وإنما استكمل هذا المنهج أركانه عن طريق طائفة من العلماء أسهم كل واحد منهم بنصيبه فى إرساء قواعده ووضع تقاليده .

---

(١) انظر أنور الجندى : أضواء على الفكر العربى الإسلامى ، طبع مصر ١٩٦٦ ، ص ٣٩ وما بعدها .

(٢) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع كتاب :جلال مظهر : علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث ، طبع مصر ١٩٧٠ (المكتبة الثقافية) .

وكانت بلاد الأندلس هى الممر الذى انتقل العلم الإسلامى عبره إلى أوربا، وبدأت أوربا تفيد بمناهج العرب فى البحث والدرس ، فخطا المنهج التجريبى على يد الأوربيين خطوات متعددة واقتحم افاقاً أوسع وأرحب ، مما أدى إلى كل هذه الاكتشافات والاختراعات التى يجنى ثمارها الإنسان فى العصر الحاضر .

وفى الوقت الذى بدأت فيه أوربا نهضتها ، كان العالم الإسلامى قد أصيب بالجمود والتخلف العلمى ، يقول أحد المستشرقين الإنجليز ـ وهو « سارتون » : إنه لولا محنة المغول ثم انحسار الفكر العلمى فى المشرق ، لكانت حضارة أوربا ـ التى يباهى بها الغرب منذ عصر النهضة ـ من نصيب مفكرى الإسلام .

إذن فمناهج البحث الحديثة منشؤها ومردّها إلى علماء الإسلام الأقدمين الذين كان لهم الفضل فى استنباطها، بعد نقدهم لمنطق أرسطو ورفضهم له.

* * *

الفصل الثاني

البحث

تعريفه وأنواعه

البحث

البحث فى اللغة ـ كما يقول ابن منظور فى « لسان العرب » ـ هو أن تسأل عن شيء وتستخبر .

ومعنى البحث فى المصطلح العلمى أنه : عبارة عن تقرير واف يقدمه باحث عن عمل أتمه وأنجزه ، بحيث يشمل هذا التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة مرتبة ومزوّدة بالحجج والأسانيد .

وهناك معنى اصطلاحى آخر للبحث ، هو : طلب الحقيقة وتقصيها وإشاعتها بين الناس .

فالوصول إلى الحقيقة هو هدف كل الباحثين .

وظاهرة البحث قديمة قدم العلم ذاته ، وهى تدل على أن الإنسان يتمتع بقدرة وهبها الله تعالى له يتمكن بها من التمييز ومعرفة الصحيح من السقيم ، والصالح من الطالح ، والنافع من الضار .

ولا شك أن البحوث العلمية أفادت الإنسانية فائدة كبيرة سواء فى المجالات الفكرية أو العملية .

والواقع أن الجامعات كانت ـ ولا تزال ـ هى المكان الطبيعى للبحث العلمى ، فالجامعات ليست مؤسسات للتعليم وتخريج القادة فى كافة المجالات فحسب ، بل هى ـ قبل كل شيء ـ مراكز للبحث وقيادة حركة التنوير الفكرى والتطوير العلمى من أجل مستقبل أفضل .

فالدراسة فى الجامعات تهدف إلى تنمية مواهب الطالب وقدراته العقلية ، فتطلق فيه إرادة البحث والتمحيص والرغبة فى الوصول إلى الحقيقة .

وإلى جانب الجامعات استُحدثت مراكز أخرى للبحث العلمى ؛ ففى النصف الأول من القرن العشرين الميلادى ارتبطت الأبحاث بالصناعة وتطورها ، فأصبحت البحوث العلمية تعالج المشكلات الصناعية ، وتسد حاجات الناس المتزايدة ، وتعمل على تطوير حياتهم إلى الأحسن ، من الناحية المادية على الأقل .

وقد تم هذا الارتباط بين البحث والصناعة فى كل من أوربا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان بحيث أصبحت الشركات الصناعية الكبرى فى تلك البلاد تولى اهتماماً كبيراً بالبحوث المرتبطة بإنتاجها ، وتنفق على مراكز البحوث فيها بسخاء بالغ .

على أن هناك مراكز أخرى للبحث تنشئها الحكومات لقيادة التطوير فى بعض القطاعات الصناعية ، كمراكز البحوث القومية فى أمريكا ، وتهتم هذه المراكز بتقديم المشورة للشركات الصناعية ، والإشراف بصفة خاصة على سير الأبحاث التى تجرى فى مجالات تنطوى على خطورة ما ، كمجال الذرّة

مثلاً [1] .

أما فى مجال الدراسات العربية والإسلامية فهناك عدد من مراكز البحث يتعاون مع الجامعات فى إجراء الأبحاث المتخصصة ، نذكر منها على سبيل المثال :

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

مجمع اللغة العربية بدمشق .

أنواع البحوث :

ذكر المؤرخ التركى المعروف « حاجى خليفة » فى كتابه « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » أن التأليف والبحث لا يخرج عن أن يكون فى سبعة أنواع ، ونص عبارته :

« التأليف على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها ، وهى :

١ ـ إما إلى شىء لم يُسبق إليه فيخترعه .

٢ ـ أو شىء ناقص يتمّمه .

٣ ـ أو شىء مُغلق يشرحه .

٤ ـ أو شىء طويل يختصره دون أن يخلّ بشىء من معانيه .

---

(١) انظر : دائرة المعارف البريطانية ، مادة البحث والتقدم والصناعة .

٥ ـ أو شيء متفرّق يجمعه .

٦ ـ أو شيء مختلِط يرتبه .

٧ ـ أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه » [١] .

غير أن « حاجى خليفة » وإن كان ينظر إلى كتابة المختصرات بعين الاعتبار، ويضعها ضمن أقسام التأليف كما هو واضح فى رقم ٤ من القائمة المذكورة ، فإن « ابن خلدون » ينتقد تأليف المختصرات انتقاداً شديداً ويصفها بأنها مضرّة بالعلوم ، وذلك فى الفصل الذى عقده فى مقدمته بعنوان : فصل فى أن كثرة الاختصارات المؤلّفة فى العلوم مخلّة بالتعليم .

الأبحاث الجامعية وأقسامها

تنقسم الأبحاث الجامعية التى يكلف بها طلاب الجامعات إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ البحث الصفّى .

٢ ـ بحث للحصول على درجة الماجستير .

٣ ـ بحث للحصول على درجة الدكتوراه .

وسنتحدث فيما يلى بشيء من التفصيل عن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة .

غير أن هناك أبحاثاً أخرى يجريها أساتذة الجامعات سنحاول التعرف عليها بعد قليل .

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، طبع مطبعة المثنى ببغداد ، ص ٤٤ .

١ ـ البحث الصفّى

يُكلّف الطالب فى مرحلة الدراسة الجامعية الأولى (الليسانس أو البكالوريوس) بإعداد أبحاث محدودة الحجم فى نطاق تخصصه وتحت إشراف أحد أساتذته .

وقد جرت العادة فى الجامعات العريقة على أن يطرح الأستاذ على طلابه عدداً من الموضوعات لإجراء أبحاث فيها ، ويترك لكل طالب حرية اختيار الموضوع الذى يريده من بين الموضوعات المطروحة . ولكن الطلاب سوف يكونون بحاجة مستمرة إلى مراجعة الأستاذ المشرف عند وضع خطة البحث ، وفى مرحلة التعرف على المصادر والمراجع اللازمة للبحث ، بل وفى مرحلة كتابة البحث أيضاً لابد للطالب من مراجعة الأستاذ المشرف لكى يستشيره فى الطريقة المناسبة لصياغة بحثه .

ويسمى البحث فى هذه المرحلة بالبحث الصفى ، ولا يتجاوز فى غالب الأحيان الخمسين صفحة . ويقصد به أصلا إتاحة الفرصة للطالب لكى يتعرف على المصادر المتعلقة بتخصصه ، ويتعود على الانتفاع بالمكتبة ، ويبلور لنفسه أسلوباً خاصاً فى عرض الأفكار وترتيبها وتقديمها فى لغة سهلة مقبولة وواضحة. فالهدف الأساسى من هذا النوع من الأبحاث هو التدريب على إعداد أبحاث متخصصة .

ولا شك أن الطالب الذى يعير اهتماما مناسباً لإعداد أبحاثه تنمو لديه المقدرة على إعداد أبحاث أكبر حجماً وأعظم وقيمة ، ويكتسب الخبرة لإنجاز أبحاث على مستوى علمى عال . ويصبح إجراء الأبحاث عنده عادة فلا يتكلّف

عناء ولا يتحمل مشقّة عند إجرائها ، وتتحسن في النهاية قدرته على إصدار الأحكام والقرارات لا في مجال تخصصه فحسب بل في سائر أمور حياته .

كذلك فإن الطالب الذى ينجح فى إعداد أبحاثه خلال مرحلة الدراسة الجامعية الأولى يكون هو نفسه الطالب الذى يوفق فى إنجاز رسالتى الماجستير والدكتوراه فى مرحلة « الدراسات العليا » .

٢ ـ مرحلة الدراسات العليا : رسالتا الماجستير والدكتوراه

تعتمد الدراسة فى الجامعة على التخصص ، وهذا التخصص تضيق دائرته ويدقّ مجاله كلما تدرّج الطالب فى دراسته الجامعية .

ولقد قدمنا أن الطالب فى مرحلة الدراسة الجامعية الأولى (الليسانس أو البكالوريوس) مكلف بإعداد أبحاث بهدف تدريبه وصقل ملكاته وقدراته العقلية والعلمية فى مجال تخصصه .

ونحن نلاحظ أن الطالب فى مرحلة الدراسة الجامعية الأولى قد يتخصص فى مجال ما كالشريعة أو اللغة العربية أو التاريخ . ولكن نطاق هذا التخصص قد يكون واسعا إلى حد ما ، فطالب الشريعة مثلا يدرس تفسير القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والتوحيد ، والفقه . وطالب اللغة العربية يدرس الأدب الجاهلى ، والأدب الإسلامى ، والأدب العباسى ، والأدب الحديث . وطالب التاريخ يدرس عصوراً تاريخية متفاوتة ، هذا فى مرحلة الدراسة الجامعية الأولى.

أما فى المرحلة الجامعية التالية ، وهى التى يسمونها بالدراسات العليا ، فإن دراسة الطالب ـ وبالتالى أبحاثه ـ يضيق نطاقها ويدقّ مجالها ، وتبدأ عندئذ مرحلة التخصص الدقيق . فطالب الدراسات العليا فى الشريعة لابد له من أن

يختار تخصصاً واحداً يدرس فيه ويقدم أبحاثه فى مجاله ، كأن يتخصص مثلا فى مجال التفسير أو الحديث ، وطالب الدراسات العليا فى اللغة العربية لابد له أن يتخصص إما فى مجال النحو والدراسات اللغوية ، أو يتخصص فى عصر معيّن من العصور الأدبية المعروفة ، وهكذا .

هذه هى مرحلة الدراسات العليا ، وهى مرحلة لا تقبل إلا الطلاب الممتازين من الحاصلين على تقديرات عالية فى تخصصاتهم خلال مرحلة الدراسة الجامعية الأولى .

ويكلّف الطالب فى مرحلة الدراسات العليا بإعداد رسالتين (أو بحثين كبيرين) الأولى هى الماجستير والأخيرة هى الدكتوراه .

رسالة الماجستير (التخصص)

هى عبارة عن دراسة مبتكرة فى موضوع من الموضوعات ، أو تحقيق كتاب مخطوط رأى الطالب أن تحقيقها من الأهمية بمكان فى ميدان العلم والمعرفة .

والجامعة تعيّن للطالب فى هذه المرحلة مشرفاً من بين الأساتذة يتولى توجيهه وإرشاده خلال مراحل إعداد البحث ، غير أن الطالب يظل المسئول الأول عن بحثه .

وبعد أن ينتهى الطالب من إعداد رسالته ، تشكل له الجامعة لجنة من الأساتذة المتخصصين لمناقشة رسالته مناقشة علنية ، بعد أن يُسلّم كل واحد منهم نسخة من الرسالة لقراءتها قبل المناقشة . وتعلن الجامعة عن موعد المناقشة ليحضرها من يرغب من الناس . وتتكون هذه اللجنة من ثلاثة أعضاء ـ على الأقل ـ يكون المشرف على الرسالة واحداً منهم . وتناقش اللجنة الطالب فى

جزئيات بحثه ، وهو مسئول مسئولية كاملة عن البحث الذى قدمه ، فقد يوجّه إليه المشرف نفسه بعض الانتقادات أثناء المناقشة العلنية . وبعد هذه المناقشة تختلى اللجنة فى غرفة مستقلة للتداول فى تقويم الرسالة وإعطاء الطالب التقدير الذى يستحقه .

ويجب على الطالب أن يتم رسالته فى مدة زمنية محددة لا تقل عن سنتين ولا تزيد عن أربع سنوات فى معظم الأحوال .

ورسالة الماجستير تساعد الطالب الكفء على أن يشعر بمتعة البحث ولذة الكشف عن الحقائق ، فيدفعه ذلك إلى مداومة الدراسة للحصول على درجة الدكتوراه .

رسالة الدكتوراه (العالمية)

ينبغى أن تكون الدكتوراه إضافة حقيقية إلى العلم ، حتى إذا حصل عليها كان الشغف بالبحث قد خالط دمه فلا يفتأ باحثاً طوال حياته ، ويدخل فى عداد العلماء .

وبحث الدكتوراه لا يختلف كثيراً عن الماجستير إلا من حيث أن الباحث يظهر قدراً من المهارة فى معالجة القضايا العلمية يدل على مدى ما يتمتع به من نضج فكرى وخبرة منهجية اكتسبها من خلال ممارسته الطويلة للبحث .

والحقيقة أن الدكتوراه ليست ـ كما يظن البعض ـ آخر المطاف بالنسبة للباحثين ، بل ربما كانت البداية الحقيقية للأبحاث الجادة المثمرة التى تنشد النفع للمجتمع بل وللإنسانية جمعاء ؛ فالحاصلون على الدكتوراه ـ سواء كانوا من أساتذة الجامعات أو مراكز البحث العلمى أو من غيرهم ـ يستمرون

فى إجراء الأبحاث فى مجال تخصصهم ، ويعملون على نشرها فى كتب ومقالات علمية حتى تتحقق الفائدة المرجوة من هذه الأبحاث ويعم نفعها .

وهذا ما سنتعرف عليه فى الفقرة التالية .

بحوث أساتذة الجامعات

سبق أن قدمنا أن الجامعات تعد مراكز متقدمة للبحث العلمى فى المجتمع ، ويلتزم أساتذة الجامعة أنفسهم بهذا المبدأ التزاماً كاملاً ، فلا تتوقف أبحاثهم عند الحصول على الدكتوراه ، وإنما تمتد هذه الأبحاث وتستمر فلا يتوقفون عن البحث طوال حياتهم ، إذ البحث يعد ـ وفقاً لنظم الجامعة ـ جزءاً من الواجبات المنوطة بالأساتذة فى مجال نشاطهم الجامعى .

ولابد ـ فى نظم الجامعة ـ أن ينشر الأستاذ أبحاثه حتى يعم نفعها ، ويتم نشر هذه الأبحاث فى ثلاثة أشكال :

(أ) كتاب يشتمل على البحث الذى أعده الأستاذ .

(ب) مقال علمى ينشر فى إحدى المجلات العلمية التى تصدر فى داخل الجامعة أو خارجها .

(جـ) مؤتمر علمى يشترك فيه الأستاذ ببحثه ، فيلقى فيه هذا البحث ويكون عرضة للمناقشة من جانب المشتركين فى المؤتمر .

وهذه المؤتمرات العلمية تعقدها الدول أو الجامعات أو الجمعيات العلمية المتخصصة بين الحين والحين . وقد يشترك فى هذه المؤتمرات أناس ليسوا من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، ولكن لابد أن تتوفر فيهم صفات معينة من أهمها التبحّر والتخصص فى الموضوعات التى تُعنى بها تلك المؤتمرات .

الفصل الثالث

صفات الباحث

وأخلاقيات البحث العلمى

أولاً : صفات الباحث :

لابد أن تتوفر فى الباحث صفات نجملها فيما يلى :

١ ـ **حب العلم** : لعل أهم الصفات التى يجب توافرها فى الباحث هى حبه للعلم حباً لا يقف عند حد ، والحقيقة أن محبة العلم تورث الإنسان حب الاستطلاع والتقصىّ والشغف بالتعرف على الحقائق ، وهذه كلها أمور ضرورية للباحث .

على أن حب العلم من شأنه أن يزود الإنسان بالحماس اللازم للاستمرار فى بحثه ، ويزكى فيه صفة الصبر والدأب والمثابرة .

٢ ـ **الذكاء والخيال** : من الشروط اللازمة للنجاح فى البحث ـ بل وفى سائر شئون الحياة ـ أن يكون لدى المرء قدر طيب من الذكاء ، وأن تكون لديه أيضا قدرة على التخيل حتى يستطيع أن يتصور كيف حدثت الأشياء وكيف تطورت إلى الحالة التى هى عليها عند مشاهدتها ، وحتى يبتدع الفروض ، ويتمكن فى النهاية من تصور سير العمليات ليصبح البحث بعد ذلك بناء متكاملاً .

٣ ـ **الدأب والمثابرة** : من أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الباحث

صفةٌ حرص العلماء السابقون من المسلمين على الاتصاف بها ، وهى الدأب والمثابرة . فها هو ذا « جابر بن حيان » العالم العربى الفذ الذى يرجع إليه الفضل فى اكتشاف علم الكيمياء ينصح الباحث بأن يتحلى بالدأب والصبر والمثابرة وعدم اليأس من الكشف عن الحقيقة المنشودة ، فما أكثر ما يقتضى البحث عناء شديداً قد لا يحتمله الباحث فينفضّ عنه فى يأس وقنوط . ولكن الباحث الذى يريد الوصول إلى الحقيقة يجب عليه المثابرة التى لا تعرف إلى اليأس سبيلا ، ويستشهد جابر بن حيان فى هذا السياق بالآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

ولقد كان علماء الحديث خاصة حريصين على بذل الوسع واستفراغ الجهد فى سبيل خدمة هذا العلم الجليل ـ علم الحديث . وكانوا يتركون أوطانهم وأهلهم ومناصبهم ويخرجون فى طلب العلم ، وينتقلون من بلد إلى بلد ومن قارة إلى قارة لكى يظفروا بحديث عند أحد الحفّاظ .

وفى العصور الحديثة تميز العلماء الناجحون بروح من المثابرة لا تُقهر، إذ أن أغلب الكشوف والاختراعات المهمة كانت تتطلب الصمود بإصرار وشجاعة فى وجه الفشل المتكرر . ولقد قال العالم الفرنسى «باستور» الذى اكتشف طريقة حفظ المواد الغذائية من التلف لمدة طويلة: «دعنى أطلعك على السر الذى أوصلنى إلى هدفى، إن قوتى الوحيدة تكمن فى صلابتى وإصرارى» (٢) .

---

(١) يوسف الآية : ٨٧ .

(٢) بيفردج . و . أ . : فن البحث العلمى ، ترجمة زكريا فهمى ، طبع مصر ١٩٦٣ م ، ص ٢٢١ .

٤ ـ الحافظة والذاكرة القوية

يجب أن يتمتع الباحث بحافظة وذاكرة قوية تعينه على الربط بين الأفكار والمعلومات ، وتمكنه من أن يتذكر ما قرأه بالأمس فيربطه بما قرأه اليوم . وهذا ما يسميه العلماء المسلمون « الاستحضار » ، وهو درجة أعلى من الحفظ ، فالحفظ وحده لا يكفى وإنما يجب أن يضاف إليه الفهم الواعى لما يحفظه المرء.

ويقول حاجى خليفة « اعلم أن من كان عنايته بالحفظ أكثر من عنايته إلى تحصيل الملكة لا يحصل على طائل فى العلم ، ولذلك ترى من حصّل الحفظ لا يحسن شيئاً من الفن وتجد ملكته قاصرة فى علمه .... إنما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط .. فإن انضم إليها ملكة الاستحضار فنعم المطلوب، وهذا لا يتم بمجرد الحفظ » (١) .

على أن الباحث إن كان يعانى من ضعف الذاكرة فإن باستطاعته معالجة ذلك عن طريق تعويد نفسه على حفظ المزيد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك الأشعار العربية المشهورة والأقوال المأثورة . فضعف الذاكرة أمر يقبل العلاج .

٥ ـ الشك والتثبّت

وصف أحد العلماء الباحث بأنه « شخص يصعب إقناعه » ، وهذا صحيح لأن الباحث لا يقبل بسهولة كل ما يقال له-ولا يسلّم بكل الآراء التى وصلت إليه فى مجال تخصصه إلا بعد التثبت من صحتها ، ولا نعنى بالشك هنا الشك

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ، المقدمة ، ص ٤٤ ـ ص ٤٥ .

المرضى الذى تدفع إليه النزوة العارضة أو الرغبة فى مخالفة المألوف ؛ بل نعنى به الشك العلمى الذى يجعل الباحث لا يقبل كل ما يقرؤه على أنه قضية مسلّمة ، بل يُعمل فيه نظره ويقلّب فكره . والشك العلمى ـ بصورته هذه ـ مظهر حضارى لم يصل الإنسان إليه إلا بعد أن قطع أشواطاً من العلم والمعرفة[1] .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى « إن الشكوك هى الموصلة إلى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال » .

ثانياً : أخلاقيات البحث العلمى

هناك بعض الاعتبارات الأخلاقية المتفق عليها بين الباحثين ، أهمها ما يلى:

١ ـ الأمانة

لابد أن يكون الباحث أمينا عند إعداده بحثه ، فإذا اقتبس نصا من النصوص أو رأيا من الآراء نسبه إلى صاحبه ولم ينسبه إلى نفسه هو ، وإذا نقل قولا من الأقوال نقله كله ، لم ينقص منه أو يزد عليه بما يغير معناه .

كذلك لابد أن يكون الباحث أميناً عند الانتهاء إلى نتيجة ، فلا يحاول أن يلوى عنق الحقائق لكى تتمشى مع رأيه هو ومع هواه ، وإنما عليه أن يكون أمينا فى تقرير الحقيقة مهما بدت مخالفة لميله أو معارضة لهواه .

---

(١) انظر : الدكتور عبد الرحمن عميرة ، أضواء على البحث والمصادر ، طبع الرياض ، ١٣٩٧ ، ص ٥٥

٢ ـ الإنصاف

يجدر بالباحث أن يعرض الآراء المخالفة لرأيه ، ويناقشها بطريقة هادئة موضوعية ، ودون تجريح أو تشهير . ويرى « جابر بن حيان » أنه لابد من إنصاف الخصوم ، فليس بينك وبين أحد منهم عداء شخصى ؛ وإنما المسألة بينك وبهم مسألة حق يُراد بلوغه . فإذا كنت بصدد خصم علمى فى فكرة بعينها ، فواجبك أن تعرض حججه كلها حجة حجة ، لا تترك منها شيئا وأنت عامد ، ولا تضيف إليها من عندك شيئاً وأنت عامد « وإلا فقد وقع العناد حماقة وجهلا » كما يقول ابن حيان [١] .

٣ ـ الاعتراف بفضل السابقين والمعاصرين

من أهم أخلاقيات البحث أن يلتزم الباحث عند نشر بحثه بالتنويه بالأبحاث السابقة التى استقى منها معلوماته ، وتقدير من سبق لهم أن بذلوا جهوداً فى مجال بحثه ، دون أن يتورع عن تصحيح أخطائهم ، وفى هذا يقول أبو الريحان البيرونى فى كتاب « القانون المسعودى » : « إنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يفعله فى صناعته من تقبل اجتهاد من تقدّمه بالمهنة ، وتصحيح خلل إن عثر عليه بلا حشمة ... »

ومن أخلاقيات البحث أيضاً اعتراف الباحث بفضل من قدّم له مساعدة فى البحث .

---

(١) انظر : زكى نجيب محمود ، جابر بن حيان ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٧٤ ، ص ٩٠ ـ ٩١ .

٤ - المسارعة إلى تصحيح الأخطاء

إذا وجد الباحث بعد أن أتم بحثه أو نشره بين الناس أنه أخطأ فى بعض النتائج فإن عليه أن ينشر تصحيحاً لها حتى يُجنّب الآخرين الوقوع فى الخطأ عند الاعتماد عليها .

الباب الثاني

المراحل التمهيدية لإعداد البحث

لابد لإعداد البحث العلمى وإخراجه من خطوات ومراحل ينبغى التزامها حتى يخرج البحث فى الصورة الملائمة .

فعملية البحث تبدأ بخطوات تمهيدية نتناولها فى هذا الباب على النحو التالى :

الفصـــل الأول : اختيار موضوع البحث ، ووضع العنوان .

الفصـــل الثانى : خطـــــــــة البحـــــــث .

الفصل الثالث : المصـــــــادر والمراجـــــــــع .

الفصل الأول

اختيار موضوع البحث ووضع عنوانه

أولاً : اختيار الموضوع

لابد للطالب إذا خُيِّر فى اختيار موضوع يبحثه أن يختار البحث الذى يتفق مع ميوله واستعداداته ، وأن يسأل نفسه الأسئلة الأربعة التالية: (١)

١ ـ هل يستحق هذا الموضوع ما سيُبذل فيه من جهد ؟

٢ ـ أمن الممكن كتابة بحث عن هذا الموضوع ؟

٣ ـ أفى طاقتى أنا أن أقوم بهذا العمل ؟

٤ ـ هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه ؟

فإن جاءت الإجابة بالنفى على أى من هذه الأسئلة ، صرف النظر عن الموضوع وحاول البحث عن موضوع آخر حتى لا يضيع وقته ونشاطه فى عمل لا تكتمل له فيه عناصر النجاح .

وإذا حاولنا إيضاح ما تترتب عليه هذه الأسئلة ، كل على حدة ، قلنا إن **السؤال الأول** يتعلق بالموضوع نفسه : هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل فيه من جهد ؟ ذلك أن الباحث قد يختار موضوعاً لا صلة له بواقع الحياة ، ولا يعالج مشكلة من مشاكل المجتمع ، ولا يجيب عن سؤال من الأسئلة المطروحة

(١) انظر الدكتور أحمد شلبى: كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، طبع دار النهضة المصرية ١٩٦٨، ص٢٠ .

على الناس . ويبذل الباحث فيه الكثير من الجهد والعرق ، وينتهى فيه إلى نتائج ينعدم الانتفاع بها ، ولا تخدم المجتمع فى شىء .

ولذلك يحسن بالطالب أن يختار موضوعاً نافعاً بحيث يتناسب والمجهود الذى يبذل فيه ، وبحيث يُنتفع به عملياً ، كأن يحاضر فيه إن كان مدرساً أو ينتفع به فى معالجة مشكلة من مشكلات الصناعة أو الزراعة أو التجارة وغيرها.

أما السؤال الثانى : فقد يكون الموضوع طريفاً محبباً إلى النفس ، وربما كان نافعاً للمجتمع ، لكن المادة المتعلقة به غير متوافرة ، ولا تكفى لكتابة بحث علمى متكامل ، وربما صلح هذا الموضوع لأن يكون مقالاً علمياً قصيراً يُنشر فى مجلة علمية ، ولكنه لا يكون موضوع بحث كبير أو رسالة علمية طويلة .

والسؤال الثالث : يتعلق بحالة الطالب وظروفه الخاصة ، ويشمل ما يلى :

أ ـ اللغات التى يعرفها الطالب ، فلا يتناول إلا الموضوعات التى كتبت فى لغات يجيدها ؛ فهناك موضوعات تناولها الباحثون من المسلمين بالبحث والدراسة فى لغة إسلامية أخرى غير اللغة العربية ، كاللغة الأوردية مثلاً ـ لغة المسلمين فى شبه القارة الهندوباكستانية ـ التى كتبت بها أعمال ودراسات فى غاية الأهمية والقيمة فى الدراسات الإسلامية عامة وفى سيرة النبى ﷺ خاصة . وهناك موضوعات كثيرة فى مجال الدراسات الإسلامية والعربية كانت موضع عناية المستشرقين ، كتبوا عنها بلغاتهم الأصلية: الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية

---

(١) المقال العلمى عبارة عن بحث صغير يسلك فيه الباحث نفس الطريق الذى يسلكه فى إعداد بحث كبير .

أو الروسية أو غيرها . ولابد للطالب أن يطّلع على كل ما يتعلق ببحثه ، سواء كتبه المنصفون أم المغرضون . فإن لم يكن يعرف اللغات التى كتبت بها الدراسات المتعلقة ببحثه فلا بأس من الاستعانة بمترجم بترجم له ما يهمه من هذه الدراسات . فإن وجد أن ذلك صعبا ضرب صفحاً عن البحث الذى يتطلب منه معرفة لغة لا يجيدها .

ب ـ الوقت المخصص للبحث ، فينبغى على الطالب أن يتخير موضوع بحث لا يستغرق إعداده إلا الفترة الزمنية التى يتعين عليه أن يقدم بحثه خلالها. فقد يُطلب إلى الطالب أن يُتم بحثا فى ثلاثة أشهر ، وتُطرح عليه عدة موضوعات يختار من بينها واحداً ، عندئذ ينبغى على الطالب ألا يختار من بين هذه الموضوعات المطروحة عليه إلا البحث الذى يستطيع إتمامه فى الوقت المحدد.

جـ ـ الإمكانات المادية للطالب ، قد تحتاج بعض البحوث من الطلاب السفر لأماكن بعيدة ، أو دول أخرى للحصول على كتب أو مخطوطات أو مواد علمية تساعد فى إعداد البحث . ولابد للطالب أن يتبين هذا الأمر قبل أن يُقدم على اختيار موضوع بحثه ، فيرى ما إذا كان لديه من الإمكانات ما يمكنه من الإنفاق على هذه الرحلات أم لا . فإن لم تكن لديه هذه الإمكانات عدل عن هذا البحث إلى بحث آخر لا يستوجب إنفاقاً يرهقه .

السؤال الرابع والأخير : يتصل بالعاطفة ، وعاطفة الإنسان أمر لا يمكن تجاهله فى هذا الشأن . فالطالب يعيش مع بحثه فترة من الوقت ومن ثم وجب عليه اختيار موضوع يحبه ويتمتع بالبحث فيه والقراءة حوله وتقصى جوانبه،

ويمتزج بنفسه امتزاجاً .

وكذلك ينبغى على الطالب أن يختار موضوعاً يتفق مع ميوله الخاصة وانتماءاته العقائدية ، فلا يكون أمام الطالب مجال يحبه فينصرف عنه لسبب ما ويختار موضوعاً لا يبرع فيه ؛ كأن يكون فى قسم اللغة العربية طالب بارع فى النحو ، فيتركه ويختار أبحاثه فى الأدب مثلاً .

ويدخل فى باب العاطفة أيضاً أن الطالب لا يختار موضوع بحث يرتبط بأبيه أو جدّه أو أحد أقاربه أو أحد أساتذته فيتعصب له ، وتُملى عليه عاطفته أن يبالغ فى تصوير حسناته والتغاضى عن سيئاته .

***

ومن ثم فإن الباحث عليه أن يراعى أن تتوافر لديه هذه العناصر قبل أن يُقدم على اختيار موضوع من الموضوعات :

١ ـ اتصال موضوع البحث بالمشكلات الاجتماعية القائمة وبتقدم العلم والمعرفة .

٢ ـ امتلاك المهارة والقدرة اللازمة لدراسة الموضوع .

٣ ـ امتلاك الوقت والمال اللازمين لإتمام البحث .

٤ ـ توافر المراجع والمصادر اللازمة للبحث .

٥ ـ إمكان الحصول على المساعدة والتوجيه اللازم لإخراج البحث فى صورة مناسبة .

٦ ـ الميل الصادق لدى الباحث ، مما يزوّده بحماس يمكّنه من إنجاز البحث

على نحو أفضل .

٧ - اهتمام الطالب اهتماماً صادقاً غير متحيز بالموضوع .

عنوان البحث

عنوان البحث هو الدليل على ما فيه . ولذلك لابد من العناية كل العناية بصياغة العنوان بحيث يدل على ما يشمله البحث من مسائل وما يعالجه من قضايا .

فالعنوان يحدد الإطار العام الذى يجرى فيه البحث ويحدد مجاله ونطاقه تحديداً محكماً ، بحيث يستلهم البحث حدوده وتفاصيله من العنوان ، فلابد لقارئ العنوان أن يستدل على ماهو مُقْدِمٌ على قراءته .

فإذا قلنا مثلا : دراسة فى شخصية أبى العلاء المعرى : فإننا بهذا ندل على أننا سنتناول هذه الشخصية من جميع جوانبها بالدراسة ، فندرس البيئة العامة التى ولد فيها ، ونتعرف على العصر الذى عايشه ، وعلى الظواهر السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأدبية التى راجت فى عصره ، ثم ننتقل إلى دراسة بيئته الخاصة فنتعرف على بلده وأسرته وأبيه واهتمامات هذا الأب ثم ننتقل إلى شيوخه وأساتذته الذين أخذ عنهم وتأثّر بهم ، ونقسّم مراحل حياته إلى مرحلة الطفولة والصبا والشباب ، ومرحلة الإنتاج الأدبى ، ونبين أثر عماه على أدبه وعلى اتصالاته بالناس ، ونتعرّف على آراء المعاصرين فيه وفى إنتاجه الأدبى .

هذا بالطبع غير العنوان التالى : « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، ونحن نعرف أن من أهم الأعمال الأدبية التى ألفها أبو العلاء المعرى كتابه المشهور « رسالة الغفران » الذى مزج فيه الشعر بالنثر بطريقة أخّاذة تستولى على

الألباب ، وتَخَيَّل نفسَه فيه وقد شاهد الجنّة وما فيها من نعيم مقيم وحور حسان، ثم شاهد النار وما فيها من عذاب أليم ، والتقى خلال ذلك كله بطائفة من الشعراء والأدباء وأجرى معهم حواراً حول وظيفة الشعر ومهمته ، كما تَعرّض لمسألة الرحمة الإلهية والغفران بالنسبة لكل واحد منهم .

إذا تناولنا موضوعاً تحت هذا العنوان « رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى » فإن دراستنا لرسالة الغفران ستصبح هى المحور الذى تدور حوله دراستنا كلها ، ولا دخل لنا هنا بشخصية أبى العلاء إلا فى الحدود التى نستطيع بها أن نلقى الضوء على الرسالة ونفهم ما جاء فيها من مشاهد ، وننظر فى حياته إلى أى مدى أثّرت على الرسالة ، ونرى هل كان عماه ـ ونحن نعرف أن أبا العلاء كان أعمى ـ سبباً من أسباب تأليفه الرسالة ، وهل كانت المشاهد التى رآها فى الجنة متنفساً لما كان يشعر به من حرمان فى هذه الدنيا التى تقوقع فيها داخل بيته حتى سُمّىَ رهين المحبسين . ومن يقرأ هذا العنوان يفهم أنه مُقدم على قراءة شىء عن رسالة الغفران بالدرجة الأولى ، وعن حياة أبى العلاء ومؤثرات حياته فى رسالة الغفران بالدرجة الثانية ، أى يكون مدار البحث على الرسالة لا على حياة الرجل .

وربما أخطأ المؤلف فى وضع العنوان المناسب لبحثه أو لكتابه ، فيصبح عندئذ هدفا لسهام النقد ، من ذلك مثلا ما حدث بالنسبة لأبى العلاء المعرى نفسه فى كتابه « الفصول والغايات فى محاذاة السور والآيات » ، وهو كتاب منثور قصد به أبو العلاء إلى تمجيد الله عز وجل ، ومع ذلك فقد كان هذا الكتاب سبباً فى حملة شعواء على أبى العلاء ، إذ ذهب خصومه إلى أنه ألفه

معارضة للقرآن الكريم ، وظن هؤلاء الخصوم عندما قرأوا عنوان الكتاب أنه يقصد به المعارضة فى الأسلوب ، وأنه يريد بكتابه أن يؤلف كلاماً يشابه كلام الله - عز وجلّ ، على حين أن أبا العلاء كان يقصد بكتابه وبالفصول التى أوردها فيه - إلى أن هذه الفصول محاذية لما فى القرآن من تسبيح وحمد وتمجيد وثناء على الله تعالى . ولو كان أبو العلاء قد تخير عنواناً آخر لهذا الكتاب لما كان قد جرّ على نفسه كل هذه التهم بالمروق والإلحاد التى جاءت من جانب خصومه .

إذن فلابد للباحث أن يتحرّى الدقة كل الدقة فى اختيار العنوان بحيث يكون هذا العنوان دليلا على ما فى البحث من قضايا وموضوعات .

ولابد للعنوان أن تتوافر فيه شروط ثلاثة :

أ - ألا يكون طويلاً مملا .

ب- ولا قصيراً مخلاً .

جـ- ولا غامضاً يدعو إلى الحيرة والتساؤل . فلا داعى للعناوين الفضفاضة التى لا تصلح كعناوين للبحوث العلمية الدقيقة كالعناوين التالية : نظرات فى التاريخ العربى الحديث . التيارات الثقافية الوافدة على الأمة الإسلامية .

ولقد عمد المؤلفون المسلمون فيما سبق إلى العناية بالعنوان لكى يكون دليلا واضحاً على ما فى كتبهم . وإذا اضطروا إلى إطالة العنوان جعلوه كالنثر المسجوع الذى يسهل حفظه ، مثل :

أ - « كتاب الشفّا بتعريف حقوق المصطفى » وهو فى السيرة النبوية ، ومؤلفه القاضى عياض بن موسى اليحصبى (توفى سنة ٥٤٤) .

ب - « العَواصِم من القَواصِم ، فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ » ، للقاضى أبى بكر بن العربى، عالم الأندلس فى القرن الخامس الهجرى.

(جـ) « كتاب ما للهند من مقولة، مقبولة فى العقل أو مرذولة » ، لأبى الريحان البيرونى (من علماء القرن الخامس) .

(د) « البيان المُغرب فى أخبار الأندلس والمَغرب » فى تاريخ المغرب العربى ، لأبى العباس أحمد بن عذارى المراكشى . (من مؤرخى القرن الخامس) .

الفصل الثاني

خطّة البحــث

المرحلة التالية من المراحل التمهيدية لإعداد البحث هى كتابة خطّة البحث أو تقسيم البحث إلى أبواب وفصول ، أو إلى فقرات متتالية مرتبة تسهّل وصول الباحث إلى نتيجة إيجابية فى بحثه .

والخطة فى واقعها تعد صورة مصغّرة للبحث ، فهى تمثل الخطوط الرئيسية العريضة للموضوع ، أو قل هى هيكله العظمى ، وهى تشبه ذلك المشروع الذى يضعه المهندس على الورق ، يقسّم فيه مساحة المبنى إلى أقسام معينة كالغرف والصالات والشرفات وغيرها ، بحيث يأتى البناء بعد إتمامه مطابقاً تمام المطابقة لذلك المخطط . كذلك الباحث يضع مخططاً لبحثه ، يقسم فيه موضوعات البحث تقسيماً منطقياً واضحاً .

وينبغى أن يتم تقسيم البحث على أساس موضوعى ، وأن تكون هناك رابطة بين أقسامه ، كالرابطة الزمنية مثلا ، فترتب أقسام البحث وفق ترتيب زمنى خاص .

والمفروض فى الطالب أن يقوم ببناء تصور عام فى ذهنه للبحث ، أو بمعنى آخر يقوم بوضع خطة لبحثه ، غير أنه لابد له بعد وضعها من عرضها على الأستاذ المشرف على البحث لكى ينظر فيها فيعدلها أو يقرّها كما هى .

وينصح الطالب ـ قبل وضع الخطة ـ بالرجوع إلى بحث يشبه بحثه من حيث خطوطه العريضة . فيحسن به أن يعمد إلى قراءة بحث يشبه بحثه فى مجلة من المجلات العلمية أو كتاب من الكتب ، ويرى كيف تم تبويب ذلك البحث لكى يستفيد من طريقة صاحبه وليس معنى هذا أنه سيتبع نفس الطريقة، لأن لكل بحث ظروفه التى تختلف عن غيره .

وعلى ضوء فكرة الطالب عن الموضوع ، وبعد اطلاعه على أبحاث مماثلة لبحثه ، يمكن للطالب أن يقسّم خطة بحثه بحيث تشتمل على العناصر التالية:

أولاً : المقدّمة (١)

ومهمة المقدمة إطلاع القارىء ـ بصورة سريعة ـ على ما هو مُقدم على قراءته. وتشتمل المقدمة على ما يلى :

١ ـ تحديد حجم القضية التى يتناولها البحث ، وشرح أهميتها ، وقيمة الكتابة عنها .

٢ ـ الدوافع التى دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع بالذات : هل البحث يحاول معالجة مشكلة من المشكلات القائمة ؟ هل يجيب عن سؤال ما يزال حائراً لا يجد الإجابة الشافية ؟ هل هو لتقدم المعرفة الإنسانية ؟

٣ ـ قد تشتمل المقدمة أيضاً على عرض تاريخى لموضوع البحث : من أى زاوية دُرس هذا الموضوع من قبل ؟ ومن هم الذين درسوه ؟ وإلى أى حد

---

(١) كان القدماء يسمون المقدمة : خطبة الكتاب .

انتهى فيه الباحثون السابقون ؟ ثم ما هى النقطة التى سيبدأ منها البحث الجديد ؟

والطالب بإجابته عن هذه الأسئلة يضع وصفا دقيقا للقضية التى يعالجها بحثه ويحدد حجمها تحديدا واضحاً .

٤ ـ تشتمل المقدمة على بيان مختصر لأبواب البحث وفصوله .

٥ ـ تشتمل المقدمة أيضاً على الصعوبات والمشكلات التى واجهت الباحث كنُدرة المصادر والمراجع ، أو اتساع دائرة القضية التى يعالجها البحث .

٦ ـ قد تشتمل المقدمة على إشارة للمراجع الأصلية التى أمدت الطالب بمعلومات جديدة جعلته يصل فى بحثه إلى نتائج جديدة .

ثانياً : صلب الموضوع

١ ـ التمهيد : قد يبدأ البحث بمدخل عام للموضوع يسمى تمهيداً أو مدخلاً تأتى بعده أبواب البحث وفصوله .

٢ ـ كيفية تقسيم الموضوع :

يتم تقسيم القضية الرئيسية للبحث إلى قضايا فرعية ، أى إلى موضوعات جزئية صغيرة تتفرع عنها ويأتى هذا التقسيم وفقا لحجم البحث ، فإذا كان البحث كبيرا قُسمت القضية أولا إلى أبواب رئيسية ، ثم قسمنا كل باب من هذه الأبواب إلى فصول يتفرع موضوع كل منها من القضية التى يعالجها الباب .

وإذا كان البحث صغيراً قمنا بتقسيمه إلى فصول فقط . أما إذا كان مقالا

علمياً محدوداً أو بحثاً صغيراً من تلك البحوث التي تقرر على الطلاب فى مرحلة الدراسة الجامعية الأولى فيُقسم إلى فصول صغيرة ، ويحسن بالباحث أن يقسم هذه الفصول إلى أقسام فرعية يتناول كل قسم منها فكرة من الأفكار التى يتعرض لها البحث ، ويستخلص الباحث لكل فكرة من هذه الأفكار عنوانا جانبيا يضعه فى جانب السطر قبل أن يبدأ فى بحث الفكرة .

ويجب أن تُتَمِّم الأبواب والفصول بعضها بعضاً ، بحيث يترتب بعضها على بعض ترتيباً يجعلها كلاً واحداً أو جسداً واحداً . وخير ما يصور بناء البحث من هذه الناحية هو المسرحية ، فكما أن المسرحية تنقسم إلى فصول ومشاهد كذلك البحث ينقسم إلى أبواب وفصول ، وكما أنه ينبغى أن تسود فى المسرحية وحدة الحدث ، كذلك ينبغى أن تسود فى البحث وحدة العمل بحيث تتسلسل أجزاؤه تسلسلاً دقيقاً . وكما أنه من الخطر على المسرحية أن يدخل على مجرى الحدث أى أشياء عارضة ، كذلك من الخطر على البحث أن تدخل عليه أى أشياء خارجة عن دائرته الخاصة؛ فلابد أن يكون كل باب وكل فصل حلقة فى سلسلة تتابع فيها الحلقات بإحكام دون إسهاب أو تطويل (١) .

ثالثاً : الخاتمة

لابد لكل بحث علمى من خاتمة . وتأتى الخاتمة فى نهاية البحث لتشتمل على عرض مركّز للنتائج التى توصل إليها الباحث فى بحثه كله .

---

(١) انظر شوقى ضيف : البحث الأدبى ، طبع مصر ١٩٧٢ م ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

نمـــاذج للخطـة

(١)

البحث : **ابن قيِّم الجوزية ، عصره ، ومنهجه وآراؤه فى الفقة والعقائد والتصوف .**

الباحث : الدكتور عبد العظيم شرف الدين .

خطة البحث :

١ ـ المقدمة .

٢ ـ صلب الموضوع : ويشتمل على تمهيد وأبواب ثلاثة ، كل منها ينقسم إلى فصلين :

أ – تمهيد : عن عصر ابن القيّم ، ويشمل المقومات السياسية والعلمية والاجتماعية لعصر ابن القيم .

ب – الباب الأول : عن حياة ابن القيم وثقافته وشخصيته .

جـ – الباب الثانى : عن فقه ابن القيم ومنهجه والأصول التى اعتمد عليها فى الاستنباط .

د – الباب الثالث : بعنوان : ابن القيم بين العقيدة والتصوف ، ويشتمل هذا الباب على فصلين .

الأول : العقيدة عند ابن القيم .

الثانى : التصوف عند ابن القيم .

٣ ـ الخاتمة : وتشتمل على النتائج الكلية للبحث .

(٢)

البحث : **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه** .

الباحث : عباس محمود العقاد .

خطة البحث :

١ ـ فاتحة (أى مقدمة) .

٢ ـ صلب البحث : ويشتمل على تمهيد وفصول أربعة ، على النحو التالى:

أ – تمهيد : فى الشبهات التى تعترض عقول المتشككين والـمُنكِرين ، وأهمها : شبهة الشر ، وشبهة الخرافة .

ب – الفصل الأول : العقائد ، فى بيان العقائد الإسلامية ورد أباطيل الخصوم .

جـ – الفصل الثانى . المعاملات .

د – الفصل الثالث : الحقوق .

هـ – الفصل الرابع : الأخلاق والآداب الإسلامية .

٣ ـ خاتمة ، وتشتمل على نتائج البحث .

(٣)

البحث : **شعر الحرب فى أدب العرب ، فى العصرين الأموى والعباسى إلى عهد سيف الدولة الحمدانى** .

الباحث : الدكتور زكى المحاسنى .

خطة البحث :

١ ـ المقدمة .

٢ ـ صلب الموضوع . ويشتمل على تمهيد وثلاثة أبواب ، كل باب مقسّم إلى فصول ، على النحو التالى :

– تمهيد عن الملاحم والقصص الحربى .

الباب الأول : عن شعر الحرب فى العصر الأموى ، وفيه فصول لا داعى لذكرها حرصاً على عدم الإطالة .

الباب الثانى : عن شعر الحرب فى العصر العباسى الأول ، ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : تصور الشعر فى العصر العباسى الأول .

الفصل الثانى : شعر الحرب الداخلية .

الفصل الثالث : شعر الحرب الخارجية فى الشرق والغرب .

الفصل الرابع : الحرب البحرية .

الفصل الخامس : خصائص شعر الحرب فى العصر العباسى .

الباب الثالث : شعر الحرب فى ظل الحمدانيين . وفيه فصول .

٣ ـ الخاتمة : وتشتمل على النتائج التى توصل إليها البحث .

الفصل الثالث

المصادر والمراجع

١ ـ تعريف

المصادر والمراجع اصطلاحان يطلق كل منهما على طائفة من الكتب تفيد الباحث فى أبحاثه ، وكل طائفة منهما تتميز بميزات تفصلها عن الأخرى. فالمصدر هو الكتاب الذى يبحث فى علم من العلوم بطريقة فيها من الشمول والتعمق ما يجعله أصلا لا يمكن لباحث فى ذلك العلم الاستغناء عنه ، فكتاب تفسير الطبرى مثلا مصدر لأنه أصل من الأصول التى لابد للباحث فى علم التفسير أن يرجع إليها .

والجامع الصحيح للبخارى ، وصحيح مسلم من الأصول والمصادر فى علم الحديث ، وكتاب « الكامل » فى التاريخ لابن الأثير أو كتاب « مروج الذهب» للمسعودى من المصادر التى لا يستغنى عنها دارس التاريخ الإسلامى، وكتاب « البيان والتبيين » للجاحظ و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة من المصادر اللازمة لطالب اللغة العربية وآدابها .

أما الكتب التى اعتمد أصحابها فى تأليفها على هذه المصادر ، أو تناولت جزئية ـ صغيرة ـ ولم تتوسع فى دراسة ما عداها ، فقد اصطلح على تسميتها بالمراجع ، فكتاب « مشاهد القيامة فى القرآن الكريم » للشيخ سيد قطب مثلا، أو كتاب « أصول الحديث » للدكتور محمد عجاج الخطيب ـ وغير ذلك من الكتب التى أُلفت تبعاً للمصادر الأصلية ـ إنما هى مراجع .

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن الكتب التى تمثل أصولاً فى علم من العلوم بحيث لا يستغنى الباحث فى هذا العلم عنها تعد مصادر ، أما تلك التى اعتمدت على هذه الأصول وعالجت جوانب منها وأخرجتها فى ثوب جديد فإنما هى مراجع .

وكما أن الباحث ملزم بالرجوع إلى المصادر والإفادة منها لا يعفى من الرجوع أيضا إلى المراجع لتقليب النظر فيها واستشارتها فى موضوع بحثه .

غير أن المراجع لا تكون فى منزلة المصادر ، لأن بعض أصحاب هذه المراجع قد يسيئون فهم ما كتب فى المصادر الأصلية ، أو يلونون المادة العلمية فى كتبهم بلون خاص ـ عقائدى أو فكرى ـ يبعدها عن الفكرة التى سيقت لها فى المصدر .

٢ ـ المنابع الضرورية للبحث

إذا انتهى الطالب من اختيار موضوعه وَوَضْعِ عِنوانٍ يُحدد إطار الموضوع ويلمُّ شملَه كان عليه أن يستكشف المنابع التى سيستقى منها مقومات بحثه ، وأهم هذه المنابع ما يلى :

أ ـ دوائر المعارف

هى عبارة عن موسوعات كبيرة قام بوضعها أساتذة مختصون . وهذه الموسوعات مقسمة إلى مقالات أو « مواد » علمية مقسمة حسب الترتيب الأبجدى . وتشتمل هذه المقالات على نبذة موجزة فى موضوع المقال ، كما تشتمل أيضا ـ وهذا هو المهم ـ على إشارة إلى المصادر مطبوعة أم مخطوطة .

وفى لغتنا العربية عدد من دوائر المعارف ، كدائرة معارف القرن العشرين للأستاذ محمد فريد وجدى ، ودائرة معارف البستانى للمعلم بطرس البستانى ، والموسوعة العربية الميسّرة لعدد من الأساتذة العرب .

وهناك أيضاً دائرة المعارف الإسلامية التى نشرت فى الربع الأول من هذا القرن الميلادى ، وكتب موادها عدد من المستشرقين الأوربيين ، وصدرت فى ثلاث لغات هى الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

ولقد بُدئ فى ترجمة هذه الدائرة إلى اللغة العربية منذ مدة ، غير أنها لم تكتمل إلى الآن ، هذا على الرغم من أن المستشرقين المحدثين فى أوربا وأمريكا أصدروا - منذ بضع سنوات - طبعة جديدة من دائرة المعارف الإسلامية ، وهذه الطبعة تشتمل على مزيد من التعديلات والإضافات .

وقد اشتملت ترجمة الطبعة الأولى لهذه الدائرة على تعليقات وتصويبات لما جاء فى بعض المقالات التى كتبها مؤلفوها من المستشرقين ، وتنطوى هذه التعليقات على أهمية بالغة فى رد بعض الشبه التى أوردها هؤلاء المستشرقون ، وتصحيح آرائهم وتقويمها . وقد تولى كتابة هذه الردود عدد من كبار العلماء المسلمين كالشيخ أحمد محمد شاكر ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، وغيرهما.

وتقدم دوائر المعارف خدمة جليلة للباحثين - خاصة طلاب الدراسات العليا - فهى تطلعهم على الكتب والمقالات التى تمس موضوعات أبحاثهم فى مختلف اللغات .

ب - المخطوطات

لا شك أن المخطوطات تعد من المصادر الأصلية التى ينبغى الرجوع إليها

والإفادة بها فى إعداد الأبحاث . والمخطوطات إنما هى كتب لم يتم طبعها ونشرها بعد وما زالت نسخها محدودة ، ومكتوبة بخط اليد .

وسنعود لدراسة المخطوطات بشئ من التفصيل فيما يلى من صفحات هذا الكتاب .

ولكن كيف يستطيع الباحث أن يعثر على المخطوطات التى تتصل بموضوع بحثه ؟

يستطيع ذلك عن طريق مراجعة فهارس المخطوطات المحفوظة فى المكتبات العامة فى مختلف أرجاء العالم . ومن أنفع هذه الفهارس فى الوقت الحاضر الفهرس الذى أصدره معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، وهو يبين المخطوطات العربية الموجودة فى عدد كبير من مكتبات العالم ، ويحدد تلك المخطوطات النادرة التى لم تطبع حتى الآن .

وهناك كتاب مهم فى هذا الصدد أعده أحد المستشرقين الألمان ـ وهو كارل بروكلمان ـ الذى ألف « تاريخ الأدب العربى » الذى يتتبع المخطوطات العربية المتناثرة فى مكتبات أوربا وأمريكا وبعض بلدان العالم الإسلامى .

وقد قام أحد العلماء الأتراك المسلمين ، وهو الدكتور فؤاد سزكين ، بتأليف كتاب فاق فى منهجه وتتبعه كتاب « بروكلمان » ، واستدرك عليه الكثير من السهو والخطأ ، ونعنى به كتاب « تاريخ التراث العربى » ، الذى قسّمه مؤلفه إلى عشرة أجزاء ، كل جزء يتناول علماً من العلوم ، ويشتمل على عرض لمنجزات علماء المسلمين ومؤلفاتهم فى هذا العلم ، وما بقى من هذه المؤلفات فى صورة مخطوطات مازال بعضها موجوداً ومتفرقاً فى المكتبات العامة والخاصة فى سائر أرجاء العالم. وقد أتم الدكتور سزكين حتى كتابة هذه

السطور تسعة أجزاء من كتابه الذى كتبه باللغة الألمانية ، وبقى جزء واحد فقط.

وفيما يلى عرض لموضوعات كل جزء من الأجزاء العشرة :

الجزء الأول : يشتمل على علوم القرآن ، الحديث ، التاريخ ، الفقه والعقائد والتوحيد ، التصوف ، منذ نشأة هذه العلوم حتى سنة ٤٣٠ .

وقد تمت ترجمة هذا الجزء إلى اللغة العربية ونشر فى مجلدين بالقاهرة سنتى ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ م .

الجزء الثانى : ويحتوى على الشعر .

الجزء الثالث : يحتوى على الطب والبيطرة وعلم الحيوان .

الجزء الرابع : يحتوى على الكيمياء والنبات والزراعة .

الجزء الخامس : يحتوى على الرياضيات.

الجزء السادس : يحتوى على علم الفلك .

الجزء السابع : فى علم اللغة والنحو والبلاغة .

الجزء الثامن : علم الفلسفة والمنطق وعلم النفس والأخلاق والسياسة وعلم الاجتماع .

الجزء التاسع : فى علم الجغرافية والفيزياء والجيولوجيا والموسيقى .

الجزء العاشر : ويشتمل على نشأة العلوم الإسلامية وتطورها ، التجربة ، النظرية ، المشاهدة ، أخلاقيات النقد وأسلوبه ، أمانة النقل عند العلماء المسلمين ، أثر العلماء المسلمين فى أوربا فى سائر النواحى .

وتشتمل هذه الموسوعة الإسلامية الهائلة على إبراز المنجزات التى حققها العلماء المسلمون فى المجالات المذكورة منذ القرن الأول حتى سنة ٤٣٠ هـ ، وعلى عرض للمخطوطات التى مازالت موجودة من تلك الفترة إلى وقتنا هذا .

وقد تكفّلت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية بالإشراف على نشر الترجمة العربية لهذه الموسوعة بعد أن قام بترجمة بعض أجزائها الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى ، وقد صدر الجزء الثانى المتعلق بالشعر فى عدة أجزاء فى سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

جـ ـ المراجع

لابد للباحث أيضاً من العودة إلى المراجع ـ أو الكتب ـ المتخصصة فى الموضوع الذى يبحث فيه لكى يطّلع على آخر ما توصل إليه الباحثون فى موضوعه .

ولكى يتعرف الباحث على ما كتب فى موضع بحثه من كتب ، فإن عليه أن ينظر فى فهارس المكتبات ، ولسوف يدرك الباحث أنه سيستفيد فائدة كبيرة من قراءة بعض المراجع فى موضوع بحثه ، لأن هذه المراجع غالباً ما تدله على مراجع أخرى مهمة فى الموضوع ربما لم يكن قد سمع بها من قبل .

على أن الباحث ينبغى عليه أن يتخير مراجعه ، فيتجنب الرجوع إلى الكتب التى يغلب على تناولها للموضوع الطابع الإنشائى لا العلمى ، أو التى تتناول الموضوع تناولا يتسم بالتعصب المقيت الذى يجعل الكاتب أشبه بالأعمى الذى لا يرى إلا ما فى ذهنه هو . والتعصب ـ كما يقولون ـ هو آفة العلم .

ويدخل فى باب المراجع أيضاً الرسائل الجامعية ـ وهى رسائل الماجستير

والدكتوراه ـ فقد تكون إحدى هذه الرسائل متصلة بالموضوع الذى يبحثه الطالب . ويُنصح الطالب فى هذه الحالة بمراجعة الفهارس التى تصدرها الجامعات عن الرسائل التى تمت مناقشتها ، فكل جامعة لديها سجلّ يتم تسجيل الرسائل الجامعية فيه .

د ـ المقالات العلمية

تُعنى المقالات العلمية بتناول جزئية من جزئيات مادة التخصص ومعالجتها بطريقة منهجية سليمة .

ويتم نشر هذه المقالات فى « مجلات علمية » متخصصة تصدر عن مؤسسات أو هيئات أو جمعيات علمية . وقد انتشرت هذه المجلات لحسن الحظ فى العالم العربى فى الآونة الأخيرة ، فأصبح لكل كلية جامعية ـ تقريباً ـ مجلة متخصصة ، بينما تحرص الهيئات والمؤسسات ذات الصبغة العلمية على إصدار هذه المجلات تعميماً للفائدة وحرصا على نشر العلم بالطريقة المنهجية الواجبة .

ومن الملاحظ أن المجلات العلمية تختلف اختلافاً كبيراً عن المجلات الأسبوعية أو الشهرية المصورة التى تصدرها مؤسسات صحيفة .

والمجلات العلمية تسمى أيضاً بالدوريات العلمية لأنها تصدر فى أوقات دورية محددة ، فبعض هذه المجلات سنوى (أى يصدر كل سنة مرة) ، وبعضها نصف سنوى (أى يصدر كل ستة أشهر) ، وبعضها فصلى (أى يصدر كل فصل من فصول السنة الأربعة مرة) .

على أنه لابد لكل باحث من الاطلاع على هذه المجلات ، فغالباً ما يصادف فيها مقالات تعرضت لموضوع بحثه من قريب أو بعيد ، فعندئذ يقرؤها

ويفيد بها فى بحثه .

وفيما يلى بيان بأسماء بعض هذه المجلات التى تصدر فى العالم العربى :

١ ـ مجلة الأزهر : مجلة شهرية تصدر عن إدارة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

٢ ـ الدارة : مجلة فصلية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية .

٣ ـ مجلة البحوث الإسلامية : تصدر عن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

٤ ـ مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهى مجلة سنوية .

٥ ـ الشرق الأوسط : مجلة سنوية تصدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس بالقاهرة .

٦ ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، وهى مجلة سنوية .

٧ ـ مجلة معهد المخطوطات العربية ، وهى مجلة سنوية تصدر عن معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية .

إلى غير ذلك من المجلات العلمية ، وهى بحمد الله عديدة ومتنوعة وتشتمل على مقالات بأقلام كبار العلماء والباحثين فى العالم العربى والإسلامى .

وإلى جانب هذه المجلات التى تصدر باللغة العربية هناك عدد من المجالات التى تصدر فى أوربا وأمريكا بلغات مختلفة ، وتنشر فيها مقالات يكتبها

المستشرقون وغيرهم تتناول موضوعات تتعلق بالدراسات الإسلامية والعربية . وقد يرى الأستاذ المشرف على البحث أن يلفت نظر الطالب إلى الاطلاع على بعض هذه المقالات للإفادة منها أو الرد عليها .

الباب الثالث

المراحل العملية لإعداد البحث

ينقسم هذا الباب بدوره إلى ثلاثة فصول ، يتناول كل منها مرحلة من المراحل التى يتعين على الباحث أن يقوم بتنفيذها على أتم وجه وأكمله ، حتى يخرج بحثه فى أحسن صورة ، وهذه المراحل هى :

١ ـ جمع المادة العلمية وتصنيفها .

٢ ـ استقراء المادة العلمية .

٣ ـ كتابة البحث .

الفصل الأول

جمع المادة العلمية وتصنيفها

بعد أن يتعرف الباحث على المصادر والمراجع التى يمكن أن يفيد منها فى بحثه ، تبدأ مرحلة جديدة من مراحل البحث وهى مرحلة جمع المادة العلمية .

وقد درج العلماء على تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين .

أ – القراءة والاقتباس .

ب – السماع .

ونتناول الآن كل قسم من هذين القسمين بشىء من التفصيل :

أولاً : القراءة والاقتباس

١ ـ القراءة

يراعى الباحث ما يلى :

(أ) القراءة المركزة :

ونعنى بها القراءة التى تقتصر على الموضوعات المتصلة بالبحث . فالطالب يتناول تلك المصادر والمراجع التى يظن أن لها صلة بموضوعه فيكتب قائمة باسمها ثم يبحث فى فهارسها عن ما له صلة بموضوع بحثه .

وليتجنب الطالب الاسترسال فى قراءة ما ليس له صلة بموضوعه فى الكتب التى يقرؤها ، وذلك حرصا على التركيز وعدم إضاعة الوقت .

وتبدو هذه الملاحظة فى محلها بالنسبة لطلاب البحوث المطالبين

بتـقـديم أبحـاثهـم فى وقت محـدد ، وعلى الأخص طلاب المرحلة الجـامعيـة الأولى (الليسانس والبكالوريوس) الذين يطالبـهم أساتذتهم بتقـديم أبحاثهم قبل نهاية الفصل الدراسى أو العام الجامعى بمدة كافية . وربما كان الطالب فى هذه المرحلة الجامعية الأولى مطالباً بتقديم أكثر من بحث واحد فى العام . ومن ثم وجب عليه أن يمنع نفسه من الانسياق وراء قراءة الموضوعات التى لا تتصل ببحثه ، فإن كانت هذه الموضوعات طريفة جذابة فلا بأس عليه من أن يسجل عنها بعض الملاحظات فى كراسة صغيرة لكى يعود إلى قراءتها بعد إنجاز أبحاثه ، أو فى الأجازة الصيفية .

ب ـ تطبيق القواعد العامة للقراءة

هناك عدد من القواعد العامة فى فن القراءة ، يعرفها كل من استهواه هذا الفن ، من هذه القواعد ما يلى :

١ ـ ألا يقرأ الباحث وهو مجهد جسمانياً ، إذ أن ذلك من شأنه أن يقلل استفادته من القراءة فينخفض مستوى استيعابه لما يقرأ .

٢ ـ على الباحث أن يتخير الأوقات التى يكون ذهنه فيها صافياً ، وأفضل أوقات القراءة والاستيعاب فى رأى عدد كبير من العلماء والباحثين هو وقت الصباح ، بينما يفضل عدد آخر القراءة بالليل . على أية حال فإنه يتعين على الباحث أن يتخير الفترة التى تلائمه وينظم وقته بحيث ينتفع بها .

٣ ـ وكما يراعى الوقت يراعى المكان ، فلابد من اختيار المكان الملائم للقراءة . ويميل بعض الباحثين إلى القراءة فى المكتبة ، بينما يميل البعض الآخر إلى أن يقرأ فى بيته . والباحث حُرٌ فى اختياره هذا ، غير أنه بحاجة إلى

التردد على المكتبة بين الحين والحين والاطلاع على ما فيها من مصادر يصعب أن يقتنيها معظم الطلاب فى بيوتهم لتعدد هذه المصادر ولغلو ثمنها ، وندرة وجود أغلبها فى الوقت الحاضر . وسوف نتحدث فى الباب التالى عن المكتبات لتعريف الطالب أفضل الوسائل التى تمكنه من الإفادة بالمكتبة .

٤ – إذا طرأت على الباحث فكرة تتصل بالموضوع الذى يقرؤه فعليه أن يسجّل هذه الفكرة فى الحال ، لأن الذاكرة كثيراً ما تخون صاحبها ، ويزداد النسيان بمرور الوقت .

٢ – الاقتباس

وفى أثناء القراءة قد يرى الباحث اقتباس نص من الكتاب الذى بين يديه ، فما الذى يفعله حينئذ ؟

لابد للطالب من أن يكتب ما يقتبسه أو يلخصه فى ورقة من الأوراق ، وقد تكون هذه الورقة بطاقة من بطاقات جمع المادة ، وقد تكون ورقة عادية . وعلى كل حال فإن هناك طريقتين لجمع المادة العلمية هما : طريقة البطاقات ، وطريقة « الدوسيه » أو الملف الكبير .

أما البطاقات : فهى عبارة عن مجموعة من الأوراق المتساوية الحجم مساحتها ١٠× ١٤ سم ، أو أكثر أو أقل . والباحث يكتب على هذه البطاقات النصوص التى يقتبسها من المصادر والمراجع التى يقرؤها ، كما يدون عليها ما يعن له من ملاحظات أو يتراءى له من أفكار .

وتباع هذه البطاقات فى محال بيع الكتب والأدوات الكتابية ، أو يعدها الباحث بنفسه من أوراق مقواة ، أو ورق عادى .

على أنه يشترط أن تكون البطاقات من حجم واحد ، ويخصص لكل باب أو فصل من فصول البحث مجموعة من هذه البطاقة تدون عليها المادة العلمية للبحث . غير أن البعض يفضل أن تكون البطاقات متعددة الألوان ، ويخصص كل لون لفصل من الفصول ، ليتمكن الباحث من تمييز بطاقات كل جزء من أجزاء البحث بسهولة .

أما الدوسيه : فهو عبارة عن غلاف من الورق المقوى بداخله قابضان أو ماسكتان تفتحان وتغلقان بسهولة ، ويضع الباحث بداخله مجموعة كبيرة من الأوراق المثقوبة من طرف واحد لتثبّت داخل المقبض .

ويقسم الباحث الدوسيه (الذى يشبه ملفاً كبيراً) على حسب خطة البحث ، ويخصص جزءاً للمقدمة ، وآخر للخاتمة ، وما بينها يقسم حسب أبواب البحث وفصوله ، ويجعل فى نهاية الدوسيه مجموعة من الأوراق ـ بصفة احتياطية ـ لما قد يجدّ له من فصول وأبواب جديدة .

أما القسم الأخير من الدوسيه فيخصص للمصادر والمراجع .

وإذا عثر الباحث فى أثناء القراءة فى المراجع والمصادر على نقطة تتصل بموضوعه كتبها فى الجزء المخصص لها من الدوسيه .

ويفضل الباحثون الدوسية على البطاقات لأسباب هى :

١ ـ أن الباحث يسيطر على موضوعه وهو بالدوسيه أكثر مما يسيطر عليه وهو فى بطاقات .

٢ ـ الدوسيه يحفظ ما به من أوراق ، أما البطاقات فهى عرضة للضياع .

٣ ـ إذا أراد الباحث أن يراجع اقتباساً ما ليضيف إليه أو يعلق عليه كان من السهل أن يجده بالدوسيه فى القسم الخاص به ، أما فى البطاقات فيضيع جهداً كبيراً فى فرزها للوصول إليه .

٤ ـ كثيراً ما يقابل الباحث حين قراءته نقطة معينة ثم يتشكك فيما إذا كان قد سجلها من قبل أم لا . ففى حالة الدوسية يمكنه التحقق من ذلك دون أن يبذل جهداً يذكر لسهولة الكشف على ما تم له جمعه من مادة . وهذا أمر يصعب تحقيقه فى حالة استخدام الباحث للبطاقات[١] .

وبالرغم من هذه المزايا التى يتمتع بها الدوسيه عن البطاقات فمازلنا نرى عدداً كبيراً من الباحثين ـ وخاصة من أساتذتنا ـ يفضلون استخدام البطاقات ، ويرون أنها أفضل من طريقة الدوسيه لسببين رئيسيين ، وهما :

١ ـ أن البطاقات أكثر دقة وأيسر فى التصنيف .

٢ ـ يمكن الاستفادة بالبطاقات فى أبحاث أخرى إذا احتفظ الباحث بها وحافظ عليها .

على أن الباحث حر فى اختيار أى من الطريقتين : طريقة البطاقات أو طريقة الدوسيه ، ويمكن للطلاب المبتدئين أن يجربوا الطريقتين معاً ، فإذا ارتاحوا إلى واحدة منهما عمدو إلى تطبيقها .

غير أننا لاحظنا أن عدداً لا بأس به من الطلاب المبتدئين يفضلون جمع المادة العلمية لأبحاثهم فى دفتر أو كراسة ، ويُعاب على هذه الطريقة صعوبة ترتيب المادة فى مرحلة صياغة البحث . ويُنصح هؤلاء الطلاب ـ طالما هم

(١) انظر : أحمد شلبى ، كيف تكتب بحثا أو رسالة ، ص ٦ .

متمسكون بهذه الطريقة ـ بما يلى :

١ ـ ترقيم أوراق الدفتر .

٢ ـ تخصيص كل مجموعة من الأوراق لكل فصل من فصول البحث على حسب الخطة (من صفحة ١٠ ـ ٣٠ الفصل الأول ، من صفحة ٢٠ ـ ٥٠ الفصل الثانى ، مثلاً) .

٣ ـ نقل المادة التى تتصل بموضوع كل فصل فى الصفحات المخصصة لهذا الفصل . (على غرار طريقة الدوسيه) .

***

ومهما تكن الطريقة التى يختارها الباحث ، فإن كل ورقة يجمع فيها المادة العلمية للبحث ـ سواء كانت هذه الورقة بطاقة أم ورقة عادية ـ لابد أن يبين فيها ما يلى :

١ ـ اسم المصدر أو المرجع الذى نقل عنه .

٢ ـ اسم المؤلف أو المحقق .

٣ ـ مكان الطبع وتاريخه .

٤ ـ الجزء (إن وجد) ورقم الصفحة التى اقتبس منها .

قانون الاقتباس

إذا حددنا اختيارنا بين الطريقتين فاخترنا طريقة البطاقة أو طريقة الدوسيه فعلينا أن ننظر فى كيفية اقتباس المادة العلمية .

والواقع أنه لأهمية الاقتباس بالنسبة لمنهج البحث فقد وضع له الباحثون قانوناً خاصاً سموه « قانون الاقتباس » يجب على كل باحث أن يلتزم به ولا

يحيد عنه . وفيما يلى أهم مواد هذا القانون :

١ ـ الاقتباس لا يكون إلا من مصادر أصلية فى الموضوع ، ويكون مؤلفوها من أعلام الباحثين فيه .

٢ ـ لابد من مراعاة الدقة التامة فى النقل . وتوضع المادة المقتبسة بين شولات ، على هذا النحو : « » .

٣ ـ يراعى الانسجام بين المادة المقتبسة وما سبقها وما تلاها من جمل أو فقرات حرصاً على اتساق السياق .

٤ ـ يجب ألا تختفى شخصية الباحث بين ثنايا كثرة الاقتباسات ؛ فالبحث ليس سلسلة متتالية من الاقتباسات ، وإنما ينبغى أن يحرص الباحث على تحليل ما يكتبه ونقده إن أمكن ، أو وضعه فى مجال المقارنة .

٥ ـ إذا كان الاقتباس لا يتجاوز ستة أسطر يوضع كجزء من البحث ، ولكن بين شولات . وإذا تجاوز ذلك إلى صفحة أو أكثر فإنه لا يجوز حينذاك الاقتباس الحرفى ، بل يصوغ الباحث المعنى فى أسلوبه الخاص ، ويشير فى الحاشية إلى أنه استفاد هذا المعنى من مصدر كذا ، ولكنه يكتب قبل اسم المرجع كلمة : انظر .

٦ ـ يجب التفريق بين ما ينقله الباحث حرفياً وبين ما يكتب معناه بأسلوبه الخاص ، فعليه إذا نقل نصاً نقلا حرفياً أن يقيد هذا النص بين قوسين ويشير فى الحاشية إلى اسم المؤلف ، واسم الكتاب ، والجزء ، والصفحة ، وسنة الطبع، ومكان النشر ، مثل : ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة، جـ ٤ ص ٢ ، ط. القاهرة ١٣٢٥ هـ . أما ما يلخصه فلا يقيده بين قوسين وإنما يكتب كلمة « انظر » قبل ذكر بيانات المصدر أو المرجع كما ذكرنا، مثل :

انظر الدكتور محمد زكى حسن ، الرحالة المسلمون فى العصر الوسطى ، ص ٢٣ ، مصر ١٩٤٥ .

٧ ـ يجوز للباحث أن يحذف من الفقرة التى يقتبسها كلمة أو جملة لا يحتاج إليها فى بحثه ـ بحيث لا يضر الحذف بالمعنى الذى يريده الكاتب الأصلى ـ وفى هذه الحالة يضع الباحث مكان الكلمة أو الفقرة المحذوفة ثلاث نقاط متتابعة (هكذا ...) تدل على أنه أسقط شيئاً من الأصل الذى اقتبس عنه.

٨ ـ إذا اضطر الباحث إلى إضافة كلمة أو كلمات أثناء الاقتباس ليوضح شيئاً أو ليبين أن الضمير عائد على شخص ما ، فعندئذ توضع هذه الزيادة داخل قوسين معقوفين على هذا النحو : [ ] .

٩ ـ إذا أراد الباحث اقتباس رأى لأحد الكتاب لكى يناقشه فيه ، فعليه أن يتأكد أولا من أن المؤلف لم يعدل عن هذا الرأى فيما نشر بعد ذلك من آراء ، أو فى الطبعات التالية للكتاب .

هذه هى بعض المواد المهمة من قانون الاقتباس ، وهى مواد ينبغى مراعاتها عند إعداد البحث إذا أريد له أن يتميز بالدقة والأمانة العلمية .

ثانياً : السماع

القسم الثانى من أقسام مرحلة جمع المادة العلمية هو السماع . ويحسن بالطالب أن يتحدث مع المتخصصين والدارسين فى موضوع بحثه ، وأن يعرض عليهم مشكلات هذا البحث ، فأغلب الظن أنهم سيدلونه على بعض المصادر والمراجع التى عالجت الموضوع من قريب أو بعيد .

ولا شك أنك تجد فى كل فرع من فروع العلوم أعلاما مبرّزين ، قد يرى الباحث استشارتهم فى موضوع بحثه ، واستيضاحهم فى بعض نقاط البحث وهناك طريقتان :

الاستبيانات الشفوية

إذا كان هؤلاء العلماء قريبين من الباحث وجب عليه زياتهم وسؤالهم بنفسه والاستماع إليهم واستبيان آرائهم فيما يتعلق بحل ما يعترضه من مشكلات البحث .

وينبغى أن يستعد الباحث استعداداً كاملا لمثل هذه الزيارات ، فيدون النقاط التى يريد استيضاحها فى كراسة ، ثم يدون الإجابة عليها بدقة أثناء المقابلة .

الاستبيانات المكتبية

أما إذا بعدت الشُّقة بين هؤلاء العلماء وبين الباحث فلا ضير عليه من مراسلتهم والكتابة إليهم فيما يعنّ له من أسئلة، وهذا ما يسمى بالاستبيانات المكتبية [1] .

وقد يرى الباحث أن يقتبس شيئاً من الآراء التى ذكرها هذا العالم أو ذاك فى أثناء المناقشة ، وعندئذ يجب استئذانه فى ذلك مادام هذا الرأى لم ينشر بعد على الناس فى كتاب أو مقال .

والواقع أن مبدأ « السماع » من المبادئ الهامة التى وضعها علماء المسلمين لتحصيل العلم ، فالتحصيل – فى رأيهم – ليس بالأمر الهين ولا

(١) لمزيد من التفصيل راجع : أحمد شلبى : كيف تكتب بحثا أو رسالة ، ص ٨٠ وما بعدها .

يُكتفى فيه بالقراءة ، ولكن لابد من الجلوس إلى الشيوخ والعلماء والاستماع إليهم والتعلم منهم والتعرف على أسلوبهم وطريقتهم بصورة مباشرة ، « ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب تارة علما وتعليما وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة . إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها » (١) .

ومن هذا المنطلق اشترطوا على الطالب أن يرحل فى طلب العلم ، ويسافر فى طلب الأستاذ إلى أقصى البلاد . « ويقال أول ما يذكر من المرء أستاذه ، فإن كان جليلا جل قدره ؛ وإنما خفض ذكر محمد بن مقاتل عند أهل العراق لأنه لم يُعرف له أستاذ جليلُ القدر » (٢) .

ولقد استقر « السماع » كما استقرت « الرحلة فى طلب العلم » كتقليدين من أهم التقاليد العلمية الراسخة التى عنى بها علماء المسلمين وفى عصور الازدهار . يقول المستشرق الإنجليزى « نيكلسون » : « لقد كان العلماء العرب فى العصر الإسلامى يقومون برحلات هى أقرب إلى الأساطير ، وإن أحدهم ليقطع القارات الثلاث ، وليس له من دابة تحمله سوى قدميه .. ثم يعودون إلى أوطانهم كما يعود النحل محمّلاً بالعسل ، وما ذلك إلا ليبحث عن كتاب أو يناقش عالماً أو يحضر على آخر »(٣) .

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٦ .

(٣) نقلا عن : أحمد سعيد الدمرداش : تاريخ العلوم عند العرب ، طبع مصر ١٩٧٧ م ، ص ٥٦ .

الفصل الثاني

استقـراء المــــادة العلميــة

يتعين على الباحث ـ بعد أن ينتهى من جمع المادة العلمية ـ أن يخلو إلى نفسه لكى يراجع ما لديه من مادة على النحو التالى :

١ ـ يعمد إلى تقليب النظر فى المادة التى جمعها وضبط ترتيبها ترتيبا مبنياً على أساس صلة كل ورقة بأخرى ، ثم صلة مجموعة من الأوراق بالفصل الذى جمعت من أجله ، ويفرد لكل فصل على حدة ما يخصه من مادة .

٢ ـ يقرأ مادة كل فصل قراءة دقيقة متأنية حتى يهضم هذه المادة .

٣ ـ يحاول تحليل ما فى هذه المادة من معلومات .

٤ ـ يدوّن ملاحظاته على البطاقات أو الأوراق التى جمع المادة عليها ، حتى لا ينسى هذه الملاحظات عند صياغته للبحث .

الاستقراء

ولكن على أى أساس يتم استقراء الباحث للمادة العلمية التى جمعها ؟

يعتمد استقراؤنا للمادة العلمية على ما يسمى بالتحليل والتركيب ، ونعنى بالتحليل عزل عناصر الشىء بعضها عن بعض ليمكن إدراكه بوضوح، أما التركيب فنعنى به إعادة بناء عناصر الشىء من جديد للكشف عن صحة النتائج التى انتهى إليها التحليل .

إذن هناك عمليتان أساسيتان هما : التحليل الذى يعتمد على إدراك الحقائق الجزئية ، ثم التركيب الذى يتم بتجميع هذه الحقائق الجزئية للخروج بحقائق كلية واضحة .

على أن الباحث عرضة للخطأ فى كلا العمليتين ، فقد يخطئ فى فهم النصوص التى أمامه ، ويبنى على هذا الخطأ استنتاجاً جزئياً خاطئاً ، ثم يخلص من هذا الاستنتاج الجزئى الخاطئ إلى حقيقة كلية عامة خاطئة؛ مثال ذلك ما فعل المستشرق اليهودى « جولد تسيهير » فى دراساته عن « تدوين الحديث النبوى الشريف » فقد فسر « كراهة تدوين الحديث » فى عصر الصحابة والتابعين بأنه يعنى أنهم لم يدوّنوا أحاديث النبى ـ ﷺ ـ أصلا ، وإنما اعتمدوا ـ فى معرفتهم للحديث الشريف ـ على المشافهة. وانتقل « جولد تسيهير » من هذا الاستنتاج الخاطئ ، إلى حقيقة كلية خطيرة وخبيثة فى نفس الوقت ـ وهى أن كتب الحديث المعروفة لدينا الآن (ومن بينها بالطبع كتب الصحاح الستة) إنما قامت على مصادر شفوية [1] ، الأمر الذى يشكّك بالتالى فى صحّة هذه الكتب.

ولذلك ينبغى الحذر كل الحذر عند محاولتنا لفهم المادة العلمية التى أمامنا حتى لا نقع فى مثل هذه الأخطاء .

وهناك عدة مبادئ منطقية ينبغى على الباحث مراعاتها عند استقرائه لمادته العلمية ، وهى :

---

(١) انظر مناقشة هذه القضية وبيان خطر هذا الرأى بالأدلة العلمية الواضحة فى كتاب: تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ، الجزء الأول، ص ٢٢٥ وما بعدها من الترجمة العربية ، طبع القاهرة ١٩٧١ م .

١ – يجب التأكد من صدق القضايا التى يتم عرضها فى البحث، فإن كانت من القضايا البديهية وجب أن ندرك فى وضوح تام أنها بديهية، وإن لم تكن وجب أن نرجع إلى الدليل الناهض بإثبات صدقها .

٢ – لابد من استخدام طريقة التحليل والتركيب التى أشرنا إليها آنفاً، بحيث تقسّم كل نقطة من نقط موضوع البحث إلى أكبر عدد ممكن من الأقسام ، كما يجب أن تكون خطوات البحث منظمة ومترابطة، فيبدأ الباحث بالجزء الأصغر فالأكبر منه، وهكذا حتى ينتهى إلى المُركّب .

٣ – يجب أن يكون البحث مستوعباً لكل أطراف الموضوع، مع مراعاة أنه:

أ ـ لا يصح الخلط بين الشىء وما عداه ، ولا يجوز أن يُضاف للشىء ما لبس له .

ب ـ يستحيل إثبات شىء ونفيه فى آن واحد .

٤ – ولا شك أن من أهم قواعد المنهج العلمى أن تكون الغاية من البحث واضحة جليّة، ويعيننا على تحديد هذه الغاية علمنا السابق ببعض المسائل المتصلة به؛ لأن العلم ببعض الشىء يلقى ضوءاً على النواحى المجهولة فيه، ويحدد المسائل التى لا تزال تتطلب الحل .

الفرض والاستنباط

وسوف يلاحظ الباحث ـ عندما يقرأ المادة التى جمعها من مصادر مختلفة لكتابة فصل من فصول البحث ـ أن هناك نوعاً من الاتفاق بين آراء بعض المصادر واختلافاً بين آراء بعضها الآخر . وعلى الباحث عندئذ ألا يتعصب

لرأى دون أن يفحص الرأى الآخر فحصا دقيقاً ، ويدير فى ذهنه القضية من جميع وجوهها ، فيربط فكرة بفكرة ، ويستخرج فكرة من فكرة ، وهكذا حتى إذا اهتدى ذهنه إلى نتيجة يطمئن إليها أخذ قلمه وبدأ فى عرض الآراء والأفكار عرضاً واضحاً متتابعاً متلاحقاً يفضى ـ بالضرورة ـ إلى هذه النتيجة . أما إذا لم يهتد إلى نتيجة مقنعة ، فإنه يفترض نتيجة أخرى ، وثالثة ورابعة ، حتى يصل إلى نتيجة صحيحة تبررها المادة العلمية وتسندها النصوص الصحيحة .

ويجب أن نفترض النتائج فى بادىء الأمر افتراضاً ، ونجعلها مجرد تفسير مؤقت للشئ الذى نبحث فيه ونتأمله ، فربما عرض لنا ـ فى المراحل التالية للبحث ـ أمر يجعلنا نغير الفرض الأول ونضع بدلاً منه نتيجة نهائية نطمئن إليها. وليكن أبو الأنبياء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسوتنا وقدوتنا فى هذا الأمر، فقد اشمأز قلبه من عبادة الأوثان التى عكف عليها قومه ، وأخذ يقلب وجهه فى الكون بحثاً عن الخالق العظيم . يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :
﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(1) .

وهكذا وصل خليل الله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد مجموعة من الفروض المتلاحقة التى لم يقم عليها دليل ، إلى نتيجة اطمأن إليها قلبه وارتاح

---

(1) سورة الأنعام آية : ٧٦ ، ٧٩ .

لها وجدانه ، واستنار بها فؤاده .

ومن شروط الفرض العلمى أنه يجب ألا يتعارض مع الحقائق المسلّم بصحتها عقليّاً . وأن يكون قضية تقبل البرهنة على صحتها أو فسادها، وإلا لما استطعنا وضع حدّ للتخمينات والظنون التى لا يمكن إثباتها بدليل إيجابى .

والفرض يجب ألا ينظر إليه ـ خلال عملية الاستقراء ـ على أنه استنباط أو نتيجة ، وإنما ينظر إليه باعتباره احتمال مؤقت قابل للتغيير والتعديل، فإذا انتهت عملية الاستقراء تحول الفرض الذى نطمئن إليه إلى استنباط .

ذلك أن الاستقراء ينتهى دائماً باستنباط ، فالباحث لا يسوّد صفحات يلمؤها بنصوص جمعها من هنا وهناك وإنما يسجل ملاحظات واستنباطات متعاقبة .

ولعل شيئاً لا يؤذى البحوث والدراسات فى العلوم الإسلامية والعربية كما تؤذيها «قلة الاستنباط، إذ يحس القارىء أنه أمام باحث لا يتعمق ما يبحثه»[1] .

إذن ينبغى أن تقودنا عملية الاستقراء إلى استنباطات جزئية ، ومن هذه الاستنباطات الجزئية نستخلص الحقائق الكلية .

استفتاء النفس

الباحث فى العلوم الإسلامية والعربية قد يجد نفسه ـ خلال مرحلة الاستقراء ـ فى حيرة بالغة أمام مجموعة من الآراء المتناقضة تماماً حول مسألة من مسائل البحث ، ولا يدرى عند ذاك أى رأى يرجح ، وتأخذ الحيرة منه كل مأخذ . وهنا يتعين على الباحث ـ بعد هضمه للمسألة موضوع الخلاف

(١) الدكتور شوقى ضيف ، البحث الأدبى ، طبع مصر ١٩٧٢ ، ص ٤٧ .

بجميع أبعادها ـ أن يستفتي نفسه في المسألة ويستقي من نفسه الرأى الأصوب، فيطيل التأمل في الأمر ، ويعمل فكره فيه ، عسى أن يجعل الله له مخرجاً ، وذلك عملا بقول نبينا ﷺ : « استفت نفسك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك» .

وكثيراً ما ينشغل ذهن الباحث بقضية من قضايا بحثه لم يتمكن من الوصول إلى رأى فيها ، فتلح هذه القضية على خاطره ولا تبرح ذهنه ، وتظل تشغل عقله الباطن حتى وهو منشغل بأمور أخرى غير البحث ، وفجأة وبطريقة غير متوقعة تبزغ في ذهنه فكرة لحل القضية ، وتبدو هذه الفكرة كنور خاطف لا يلبث أن يختفي ، ولذلك يجب تسجيل هذه الفكرة في الحال ولا ينبغي الاعتماد على الذاكرة ، لأنها كثيرا ما تخون صاحبها فينسى الفكرة ويزداد النسيان كلما طال الزمن بين بزوغ الفكرة في الذهن وتسجيلها .

والواقع أن استفتاء النفس ، أو ما يسمى بالحدس أو الخيال العلمى ، يسهم في وضع الحلول للمشكلات التي تواجه الباحث ، ولكن أقدار الباحثين تتفاوت في القدرة على « الحدس » لاعتماده على المعرفة والخبرة السابقة ، وحدّة الذهن التي هي نعمة من الله تعالى . ولا يُلهم الباحث الحل ألا بعد شئ من الانتظار والمعاناة ، وكثيرا ما يحدث ذلك على هيئة إشراق مفاجئ ، كما ذكرنا .

إعادة النظر في عنوان البحث وخطته

ربما يلاحظ الباحث بعد استقراء المادة العلمية للبحث أن عنوان بحثه بحاجة إلى تعديل . فقد يبدو له بعد مرحلة الجمع أن العنوان الذى سبق له

اختياره كان واسعاً يقتضى منه أن يتوسع فى مجالات قد تكون بعيدة عن مجال تخصصه فيستغرق البحث فيها وقتاً أطول مما سبق أن قدره لنفسه . فقد يختار باحث فى التاريخ الإسلامى مثلا موضوع : العلاقات بين الدولتين العثمانية فى تركيا والصفوية فى إيران، فيجد ـ بعد الانتهاء من جمع مادة البحث ـ أنه أمام علاقات متنوعة تتعدد مجالاتها بين العلاقات السياسية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية .. الخ. ومن ثم يكون عليه أن يحدد اتجاه بحثه فى وجهة أو وجهات معينة حتى يوفر على نفسه ارتياد مجالات من الدراسة قد لا يكون مستعداً لبحثها والتعمق فيها. فيتصل عند ذاك بالأستاذ المشرف على بحثه ليعرض عليه رغبته فى تعديل العنوان ليكون مقتصراً على ما سيعالجه البحث من موضوعات محددة، فيصبح العنوان الجديد للموضوع مثلا : « العلاقات السياسية بين ... الخ » أو « العلاقات المذهبية ... » .

وسيجد معظم الباحثين ـ سواء الذين قاموا بتغيير عناوين موضوعاتهم أم من لم يغيروا هذه العناوين ـ أنهم جمعوا مادة كثيرة للبحث لم يستفيدوا إلا بجانب منها ، وبقى جانب آخر لم يفيدوا به، وهذا أمر يشق على الباحثين جداً، إذا يشعر الباحث أمام هذه المادة التى جمعها ولم يستفد بها أنه قد ضيع وقتاً ثميناً فى جمع هذه المادة دون جدوى . ويحاول بعض الباحثين إقحام هذه المادة فى البحث إقحاماً من شأنه أن يضر به إضراراً بالغاً ، إذ البحث ليس فى حاجة إليها أصلا ، ومن ثم إذا هى أقحمت تخل باتزان البحث وتفصم العرى المنطقية بين أجزائه وتسمه بِسِمة الاستطراد الممل الذى لا داعى له مطلقاً . فعلى الباحث أن يتخلى عن هذه الطريقة ؛ لأن من الأمور الطبيعية جداً ألا تؤخذ المادة الخام كلها وتحشر حشراً فى الصياغة النهائية . فالبحث فى صورته

الاخيـرة شـأنه شـأن مـاء الورد المسـتـخلص من آلاف الورود والأزهار ، أخـذت عصارتها النافعة ووضعت فى قنينة صغيرة ، وألقى جانبا بذلك الكم الهائل من البقايا .

على أننا لا ننصح الباحث بإلقاء المادة التى لا يحتاجها فى بحثه جانبا ، بل يمكنه الاحتفاظ بهذه المادة لكى يفيد بها فى إعداد أبحاث تالية .

وقـد يلاحظ البـاحث بعـد استـقـراء مـادة البـحث أن الخطة التى أعـدها وتضمنت تقسيم بحثه بحاجة إلى تغيير فى ضوء المعلومات التى حصل عليها . فقد يجد أن هناك أقساماً أو فصولا يجب إضافتها وأخرى يجب حذفها ، أو يرى أنه يتعين عليه أن يقـدم بعض الأقسام ويؤخر بعضـهـا ، وفقـا للتسلسل الموضوعى للسياق ، ولا ضير على الطالب من أن يجرى هذا التغيير بعد أن يأخذ رأى الأستاذ المشرف على البحث .

الفصل الثالث

كتابـــــة البحـــــث

هذه هى أدق مرحلة من مراحل إعداد البحث ، فالخطوات التى مرت من قبل إنما تعد مقدمة لهذه المرحلة المهمة التى لابد وأن تبرز فيها شخصية الباحث ، وتفصح عن مدى استعداده للقيام بهذه المهمة الخطيرة ـ مهمة البحث والإبداع .

فإذا نحن قسنا عملية البحث العلمى على عملية البناء المعمارى ـ كما سبق أن ذكرنا ـ وجعلنا الباحث بمثابة المهندس الذى يبنى بيتاً على أصول فنية سليمة ، وجدنا أن الخطوات التى مرت كانت عبارة عن تهيئة مادة البناء ، ورسم المخطط الذى سوف يكون عليه . وبقى فى هذه المرحلة « اختيار اللبنات ، مما سبق أن جُمع ، ثم وضعها حسب المخطط الذى كان قد رسمه الباحث ، بالاتجاهات والزوايا التى هيأها » (1) .

فهذه المرحلة إذن تنطوى على أهمية بالغة باعتبارها المحصلة النهائية لكل ما بذلناه من جهد فيما سبق ، وباعتبارها أيضاً مرآة تنعكس عليها إمكاناتنا الذاتية، فها هنا تبين هذه الإمكانات وتظهر . لأن المادة العلمية التى جمعها الباحث ربما يستطيع غيره أن يكدّ ويكدح حتى يجمعها نفسها . لكن الفرق بين

(1) الدكتور عبد العزيز الخويطر : فى طرق البحث ، الطبعة الثانية ، الرياض ١٣٩٦ هـ ص ٣٧ .

الباحثين يظهر عند صياغة البحث ، شأن أية صناعة ، إذا لا تتحكم فى قيمتها المادة الخام بقدر ما تتحكم فى هذه القيمة كيفية الصنع والإخراج، وعلى هذا النحو تختلف قيمة البحوث بعضها عن بعض باختلاف اجتهادات الباحثين واستعداداتهم .

وإذا كانت هذه المرحلة محكاً لشخصية المرء ، واختباراً لمدى ما يتمتع به من إمكانات ذاتية فمن الأولى أن يوليها الباحث مزيداً من العناية والاهتمام ، وأن يحرص على أن يختط لنفسه طريقاً وأسلوباً يتفق وقدراته بحيث يدل هذا الطريق عليه وعلى شخصيته. وهناك مثل يقول : « الأسلوب هو الرجل »، فأسلوبك فى معالجة مشكلات البحث وصياغته إنما يدل على طريقة تفكيرك ومدى استيعابك لما تعالجه من مسائل وتطرحه من قضايا. ومن ثم يتعين أن تكون شخصية الباحث واضحة فى بحثه .

وهناك عدة وصايا ينبغى مراعاتها عند صياغة البحث ، هى :

١ ـ أن يتجنب الاستطراد والتطرق إلى مواضيع لا تمس موضوع الفصل الذى يكتب فيه ، والإشارة إلى أنه سيتم تناول هذا الموضوع فى فصل كذا ، وأن يتجنب التكرار ، فإن اضطر إلى التكرار اكتفى بالإشارة فى الهامش إلى أنه سبق تناول هذا الموضوع فى صفحة كذا فيما سبق .

٢ـ أن يكتب بأسلوب علمى ، والأسلوب العلمى يختلف عن الأساليب الأخرى فى الكتابة فى أنه لا يحتمل معنيين ، بمعنى أن يكون غرض الكاتب

واضحاً لا لبس فيه أو غموض أو إبهام . ولا نعنى بهذا أن يُحرم الباحث من الكتابة بأسلوب أدبى رفيع ، وإنما الذى نعنيه ألا يضر الأسلوب بالمعنى المراد أو يخل به .

٣ ـ يجب أن يكون الأسلوب بعيداً عن التهكم والسخرية بقدر ما يكون بعيداً عن المبالغة والتهويل .

٤ ـ ولقد اشترط المتقدمون من علماء المسلمين أن يتميز أسلوب الكتابة بما يلى :

« هجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز ... وحسن الترتيب ، ووجازة اللفظ ، ووضوح الدلالة ، وينبغى أن يكون مسوقاً على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة » (١) .

٥ ـ أن تكون أبواب البحث وفصوله ، أو أقسامه التى تم تقسيمه على أساسها متقاربة فى حجمها : فلا يصح أن يتضخم أحد الأقسام ، بينما يبقى قسم آخر صغيرا محدوداً .

٦ ـ أن يوطن الباحث نفسه عند الكتابة على الإضافة والزيادة والاختصار فيما كتب ، ويحسن بالباحث أن يكتب مسودة البحث بطريقة تسمح بالإضافة والتعديل ، كأن يكتب على سطر ويترك سطراً ، وأن يترك فراغاً مناسباً

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

فى أسفل الصفحة يستخدم فى كتابه الهوامش . وأن يكتب على صفحة ويترك صفحة . ويفضّل معظم الباحثين كتابة المسودة بالقلم الرصاص حتى يسهل عليه التغيير والتعديل فيما كتب .

ولا ريب فى أن العقل البشرى قاصر عن بلوغ مدارك الكمال ، مثلما قال أحد الأدباء المسلمين ، وهو العماد الإصفهانى : « إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العِبر ، وهو دليل على استيلاء النّقص على جُملة البشر » .

٧ ـ قد يحسن بالباحث أن يفتتح الفصل الذى يكتبه بتقديم مختصر لا يتجاوز أربعة أسطر أو خمسة ، لكى يبين للقارىء مكان هذا الفصل (أو المبحث) من التبويب العام للبحث بهدف الربط بين الفصل وبقية الفصول ، ولشرح خطته فى تناول موضوع الفصل بإيجاز . ثم ينتقل بعد هذا التقديم إلى معالجة الموضوع. كما يحسن بالباحث أيضا أن يختتم الفصل الذى يكتبه بفقرة أو عدة فقرات تبين أهم ما توصل إليه من نتائج .

٨ ـ الباحث مسئول عن كل ما يثبته فى بحثه ، حتى ولو تابع فيه مفكراً كبيراً أو علماً مشهوراً ، فذلك لا يعفيه من المسئولية .

٩ ـ إذا تعرّض الباحث أثناء الكتابة لآراء الآخرين ، أو تناول هذه الآراء بالنقد ، فينبغى أن يكون ذلك فى أسلوب هادئ رزين ، وأن يعفّ عن

الكلمات الجارحة أو الخارجة التى لا تليق بالعلماء والمفكرين .

علامات الترقيم

إذا أراد الباحث أن يستكمل بحثُه شروطَ النجاح ، وأن يحقق الفائدة المرجوّة منه ، طبّق القواعد الأساسية لعلامات الترقيم عند كتابة بحثه .

والترقيم فى الكتابة : هو وضع رموز إصطلاحية معينة بين الجمل والكلمات ، بهدف التيسير على القارىء لكى يفهم المعنى بسهولة . وتوضع هذه العلامات عند الوقف ، والفصل بين أجزاء الكلام ، والإشارة إلى التعجب، ونحو ذلك .

وعلامات الترقيم فى الكتابة العربية بينها الجدول التالى :

اسم العلامة	صورتها	اسم العلامة	صورتها
الفصلة (الفاصلة)	،	علامة الانفعال	!
الفصلة المنقوطة	؛	علامة التنصيص	« »
النقطة	.	الحذف	...
النقطتان	:	القوسان	( )
الشرطة (الوصلة)	–	القوسان المركّنان	[ ]
علامة الاستفهام	؟		

مواضع استعمال هذه العلامات [1] .

١ ـ الفصلة (الفاصلة) :

وتستعمل لفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض ، مثل : التقديرات الجامعية هى : ممتاز ، جيد جداً ، جيد ، مقبول ، ضعيف ، ضعيف جداً .

كما تستعمل بعد لفظ المنادى ، مثل : ياعلى ، حَلَّ موعد سفرك .

٢ ـ الفصلة المنقوطة :

وتوضع بين السبب والمسبَّب ، مثل : اغتر الفريق بقوته ، واعتمد على شهرته ، وتهاون فى كفاح خصمه ؛ ولهذا خسر المباراة .

٣ ـ النقطة :

وتوضع بعد نهاية الجملة التى تم معناها ، واستكملت كل مقوماتها بحيث نلاحظ أن الجملة التالية تطرق معنى جديداً غير المعنى الذى عرضته الجملة السابقة ، مثل :

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره . وحدّ الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب .

٤ ـ النقطتان :

توضعان بين القول والمقول ، وبين الشئ وأقسامه ، مثل : تنقسم الجامعة إلى عدة كليات : كلية الطب ، كلية الهندسة ، كلية الزراعة ... الخ .

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر كتاب : الإملاء والترقيم فى الكتابة العربية لعبد العليم إبراهيم ، طبع مصر ١٣٩٥ .

٥ ـ الشرطة :

توضع بين العدد والمعدود مثل ١ ـ .... ، ٢ ـ ....

أما **الشوطتان** فتفصلان جملة أو كلمة معترضة مثل :

كانت ذات النطاقين ـ وهى أسماء بنت أبى بكر ـ تحمل الزاد للنبى ﷺ ولأبيها وهما فى الغار .

٦ ـ علامة الاستفهام :

توضع بعد الجملة الاستفهامية : أهذا كتابك ؟ متى عدت من السفر ؟

٧ ـ علامة الانفعال :

توضع بعد الجمل التى تعرب عن حالات الانفعال النفسى : كالتعجب ، والفرح ، والحزن ، والدعاء .. الخ .

٨ ـ علامة التنصيص :

يوضع بين قوسيها المزدوجين كل ما ينقله الكاتب من كلام غيره ، مثل :

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه » .

٩ ـ علامة الحذف :

وتوضع مكان المحذوف من كلام اقتبسه الكاتب .

١٠ ـ القوسان :

توضع فى وسط الكلام ، ويكتب بينهما الألفاظ التى ليست من الأركان الأساسية لهذا الكلام ، كالتفسير والدعاء القصير : مثل : الذمام (بالذال)

العهد ، والزمام (بالزاى) ما تقاد به الدابة .

يعد عمر (رضى الله عنه) نموذجاً للحاكم العادل فى سائر العصور .

١١ ـ القوسان المركّنان :

توضع بينهما زيادة قد يُدخلها الكاتب فى جملة اقتبسها :

يقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان « تُوُفِّى عز الدين بن الأثير [صاحب كتاب الكامل فى التاريخ] فى سنة ٦٤٠ » .

الباب الرابع

المكتبات والمخطوطات

يتضمن هذا الباب فصولا ثلاثة للتعريف بالمكتبات **وأهميتها فى الدراسات الإسلامية والعربية** ، **والتصنيف الذى تأخذ به المكتبات الحديثة** لتقسيم مجموعاتها من الكتب لكى تكون فى متناول المترددين على هذه المكتبات ، ثم تختتم هذا الباب بالحديث عن **المخطوطات** ، فنذكر لمحة عن أهميتها وما يجب على الباحثين نحوها من محاولة تحقيقها ونشرها .

الفصل الأول

المكتبات وأهميتها فى الدراسات الإسلامية والعربية

تقوم المكتبات [1] بدور أساسى فى خدمة الثقافة الإسلامية ، وحفظ تراث الأمة ، وإتاحة الفرصة أمام الأجيال المتعاقبة للاطلاع على منجزات السلف وأعمالهم فى شتى المجالات ، وتخليد مآثرهم فى سائر العصور والأزمان .

ولقد نشأت المكتبات فى الإسلام منذ عهد بعيد ، غير أنها نشأت ـ أول الأمر ـ فى المسجد ، فقد كان فى كل مسجد جامع مكتبة كبيرة ملحقة به تشتمل على الكتب والتواليف فى مختلف فروع العلم .

كانت نشأة المكتبات فى المسجد أمراً طبيعياً ، فقد كان المسجد هو الملتقى الذى تلتقى فيه أوجه النشاط العام الذى يمارسه المسلمون لخدمة مجتمعهم ، إذ كان المسجد هو المكان الذى يتم فيه التخطيط لكل شئون الحياة العلمية والاجتماعية والعسكرية .

فلا عجب إذن أن يضم مكتبة ـ أو خزانة للكتب ـ تشتمل على المصاحف والتفاسير وعلوم الحديث والفقه واللغة وغيرها .

ولقد ظل دور المكتبة فى الإسلام ينمو ، وظلت أهميتها تتعاظم حتى رأى الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٤٩ ـ ١٩٣) إنشاء مكتبة هائلة فى بغداد

---

(١) نعنى بالمكتبات هنا المكتبات المخصصة للاطلاع على الكتب فى داخلها واستعارة الكتب خارج المكتبة بدون مقابل مادى ، وهى التى يطلق عليها أحياناً اسم دور الكتب ، وهى تختلف عن محال بيع الكتب التى تختص ببيع الكتب والأدوات المكتبية . ولذلك يجب التحوط من الخلط بينهما .

أطلق عليها اسم « دار الحكمة » كانت مجموعتها من الكتب تقدر بنحو مليون كتاب في مختلف العلوم والفنون . وهي المكتبة التي دمرها المغول عند استيلائهم على بغداد سنة ٦٥٦ ، فذهبت معالمها وأعفيت آثارها .

وفي المقابل أنشأ الحاكم بأمر الله الفاطمي مكتبة في القاهرة تسمى « دار العلم » ، فضمت مليون و ٦٠٠ ألف مجلد .

« وكانت مكتبة طرابلس الشام تحوي ثلاثة ملايين كتاب تحت عناية قضاة آل عمار ، وكان لآل عمار في هذه الخزانة مائة ألف ناسخ تجري عليهم الأرزاق سنوياً . وقد وقعت الخزانة في أيدي الصليبيين عام ٥٠٣ ، فأحرقها الفرنجة وصارت رماداً » (١) .

كما كان في قرطبة ببلاد الأندلس مكتبة تضم ٤٠ ألف مجلد ، في حين أن شارل الخامس ـ ملك فرنسا في القرن الثامن الهجري ـ لم يستطع أن يجمع في مكتبة فرنسا الرئيسية أكثر من ٩٠٠ مجلد .

لم تكن معظم هذه المكتبات تشتمل على الكتب فقط وإنما كانت فيها أقسام متعددة للخدمة المكتبية هي :

١ ـ قسم النسخ : لإعادة نسخ الكتب المخطوطة التي أوشكت على التلف .

٢ ـ قسم الترجمة : لترجمة الكتب المهمة من اللغات الأخرى كالفارسية والسريانية واللاتينية إلى اللغة العربية .

٣ ـ قاعة المناظرات : لتجري فيها المناظرات والمناقشات في الموضوعات التي تهم جمهور الناس .

٤ ـ قاعة المطالعة : وهي مخصصة لكي يرتادها رواد المكتبة للاطلاع فيها.

---

(١) أنور الجندي : أضواء على الفكر العربي الإسلامي ، ص ٧ .

أما العاملون بالمكتبات الإسلامية فكانوا عبارة عن :

١ ـ الخازن : وهو يشبه أمين المكتبة فى العصر الحديث ، وكان يتم اختياره بدقة من بين العلماء والأدباء المعروفين ، كسهل بن هارون ، وسعيد بن هارون، وكلاهما ـ على سعة شهرته الأدبية ـ كان خازنا لدار الحكمة فى بغداد .

٢ ـ المناولون : وكانت مهمتهم إرشاد القارئ إلى أماكن الكتب أو إحضار الكتب إلى القراء فى قاعة المطالعة .

٣ ـ النساخ والمجلدون : كانوا يقومون بنسخ المخطوطات التى تحتاج إلى إعادة نسخ ، وتجليدها لتكون فى متناول المكتبات .

***

كانت هذه المكتبات تُوقَف عليها الأموال وترصد لها الإمكانات المادية لتقوم بدورها فى نشر العلم والثقافة بين أبناء الأمة . وقد بلغ من حرص رعاتها أنهم كانوا يجعلون فيها ما يحتاجه القراء من الحبر والأقلام والورق .

وقد انتشرت المكتبات انتشاراً واسعاً فى البلاد الإسلامية ، فلم تكن تقتصر على المكتبات العامة التى ينشئها الخلفاء والأمراء والحكام، وإنما كانت هناك مكتبات خاصة عند الأفراد ، كما كانت هناك مكتبات ملحقة بالمدارس الكبرى ، كالمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية فى بغداد والمدرسة الفاضلية بالقاهرة وغيرها .

كذلك كان فى كل مسجد جامع مكتبة ، إذ كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد .

غير أن هذا التراث الضخم قد تبدد بفعل السطو والحرائق التى لحقت بهذه المكتبات من جانب الصليبيين والمغول ، ولم يصلنا منه إلا القليل ، على نحو ما

سنذكره فى الفصل الخاص بالمخطوطات .

أشهر المكتبات فى العالم العربى

والان يوجد عدد من الكتبات الضخمة والمهمة فى شتى أنحاء العالم العربى، نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ مكتبة الجامع الكبير بالقيروان فى تونس .

٢ ـ دار الكتب الظاهرية فى دمشق ، وتمتاز هذه الدار بمقتنياتها من المخطوطات النادرة .

٣ ـ مكتبات المدينة المنورة : وتضم هذه المكتبات مكتبة مهمة للغاية هى مكتبة شيخ الإسلام « عارف حكمت » التى تشتمل على العديد من المخطوطات النادرة .

٤ ـ دار الكتب الوطنية بالرياض .

٥ ـ دار الكتب العمومية فى بغداد .

٦ ـ دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وتعد من أكبر المكتبات فى عصرنا الحاضر ، إذ تضم ما يزيد على مليون مجلد فى مختلف فروع العلم والمعرفة . وقد أنشئت فى سنة ١٢٨٧ فى وسط القاهرة ، وتم نقلها إلى مبناها الجديد على النيل بشمال القاهرة .

٧ ـ مكتبة الجامع الأزهر: وهى تمتاز بما فيها من مخطوطات نادرة.

٨ ـ المكتبة العمومية فى جامع صنعاء .

إلى غير ذلك من المكتبات المنتشرة فى سائر أرجاء العالم العربى والإسلامى، بل وفى أنحاء العالم كله [1] .

---

(١) لمعرفة المكتبات الأوربية والأمريكية وغيرها التى تشتمل على مخطوطات عربية انظر القائمة التى أوردها فواد سزكين فى مقدمة كتاب«تاريخ التراث العربى»وتضم القائمة عددا كبيراً من أسماء تلك المكتبات.

الفصل الثاني

المكتبة الحديثة وتصنيفها

لا تختلف المكتبة الحديثة عن المكتبات الإسلامية إلا فى أمور شكلية طفيفة، من أهمها أن القارئ يستطيع أن يحضر لنفسه الكتاب الذى يريده دون أن يعتمد فى ذلك على معاونة أمين المكتبة أو يحتاج إلى خدمة المناولين لمناولته الكتاب .

وتتبع المكتبة الحديثة نظام الأرفف المفتوحة ، لكى يكون الكتاب فى متناول القارئ مباشرة ، وعلى هذه الأرفف توضع كل مجموعة المكتبة من الكتب مصنفة بحسب تقسيم العلوم .

على أن معظم المكتبات الحديثة فى العالم تصنف مجموعاتها من الكتب وفقاً لتنظيم عالمى موحد يسمى بنظام « التصنيف العشرى » المعروف بتصنيف « ديوى » ، نسبة إلى مكتشفه ملفيل ديوى .

ويقسم هذا التصنيف العلوم إلى عشرة أقسام رئيسية ، ويعطى لكل علم منها رقماً ، وتندرج تحت هذا الرقم أرقام تتفرع عنه ، كل منها يختص بفرع من فروع العلم .

ومن ميزات هذا التصنيف أنه يتسع لكل فروع العلم والمعرفة ، وهو قابل للتوسع والإضافة إلى مالا نهاية ، ويمكن أن تأخذ به مكتبة صغيرة بها بضعة مئات من الكتب أو مكتبة كبيرة بها عشرات الملايين من الكتب .

غير أن المكتبات العربية لم تأخذ بنظام التصنيف العشرى كما وضعه صاحبه « ديوى » دون تغيير ، بل أجرت فيه بعض التعديلات الفرعية التى تتفق مع هويتها العربية الإسلامية ، لكنها حرصت على أن تظل الأقسام الرئيسية للتصنيف كما هى بغية الوصول إلى نظام دولى موحّد للتصنيف المكتبى ينتظم المكتبات فى سائر أرجاء العالم .

وفيما يلى تعريف مختصر بهذا التصنيف :

أولاً : الأقسام الرئيسية لتصنيف العلوم :

٠٠٠	المعارف العامة	٥٠٠	العلوم البحتة
١٠٠	الفلسفة	٦٠٠	العلوم التطبيقية
٢٠٠	الديانات	٧٠٠	الفنون
٣٠٠	العلوم الاجتماعية	٨٠٠	الآداب
٤٠٠	اللغات	٩٠٠	التاريخ

ثانياً : ينقسم كل من هذه الأقسام الرئيسية إلى عشرة أقسام فرعية ، وعلى سبيل المثال :

٢٠٠ الديانات تنقسم إلى عشرة أقسام هى :

٢١٠ الدين الإسلامى

٢٢٠ ....

٢٩٠ الأديان الأخرى

ثالثاً : ثم ينقسم كل قسم من هذه الأقسام الفرعية إلى عشرة فروع ، وعلى سبيل المثال :

٢١٠ الدين الإسلامى	٢١٥ الفرق الإسلامية
٢١١ القرآن وعلومه	٢١٦ الفقة الإسلامى
٢١٢ التفسير	٢١٧ المذاهب الإسلامية
٢١٣ الحديث وعلومه	٢١٨ الشعائر والتقاليد
٢١٤ أصول الدين	٢١٩ السيرة النبوية

وجميع كتب المكتبة مرتبة على الرفوف حسب هذه الخطة ، ولهذا نجد جميع كتب الموضوع الواحد متجاورة .

الفهارس

يلاحظ الطالب أن بالمكتبة ثلاثة أنواع من الفهارس ، وهى :

(أ) فهرس المؤلف .

(ب) فهرس العنوان .

(ب) الفهرس المصنف .

وكل فهرس من هذه الفهارس موضوع فى أدراج خاصة منفصلة بعضها عن بعض . وتشتمل هذه الأدراج على بطاقات دونت عليها البيانات الخاصة بكل كتاب .

وطريقة استخدام كل فهرس كما يلى :

(أ) **فهرس المؤلف** :

١ ـ تحذف أداة التعريف أيا كانت من الترتيب الهجائى .

٢ ـ عبد الله تسبق أى اسم يبدأ بـ (عبد)، مثل عبد الباسط وعبد

الرحمن ... الخ .

٣ ـ الكلمات مثل ابن، أبو ، با ، بو ... تحذف بالنسبة لأول المدخل فقط.

(ب) **فهرس العنوان** :

١ـ تستبعد أداة التعريف إذا بدأ العنوان بها .

ـ ـ تحذف كلمة كتاب من الترتيب .

٣ ـ توضع جميع الكلمات التى يتكون منها العنوان فى الاعتبار بما فيها ابن ، أبو ، با ، بو ، وحروف الجر وحروف العطف .

(جـ) **الفهرس المصنف** :

١ ـ أرقام التصنيف مسلسلة على التوالى .

٢ ـ يكون الترتيب داخل رقم التصنيف الواحد هجائياً باسم المؤلف .

وفهارس المكتبة تجيب على استفسارات الطالب عن مواد المكتبة من الكتب والمخطوطات والوثائق وغيرها بسرعة ويسر .

كما أن تصنيف الكتب وترتيبها على الرفوف يمكّن الطالب من الوصول إلى موضع الكتاب بسهولة .

وقد بدأ العمل فى الآونة الأخيرة بنظام المكتبات الآلية التى تستخدم الحاسوب أو الكمبيوتر للدخول على مجموعاتها من الكتب وذلك بتحويل فهارسها البطاقية إلى فهارس آلية، حيث يمكن الاسترجاع فيها بأى مدخل من المداخل؛ فإلى جانب المؤلف والعنوان ورقم التصنيف يمكن العثور على الكتاب بمداخل أخرى كتاريخ النشر ، والترقيم الدولى، واسم الناشر وغيرها، وهذه الأنظمة الحديثة تتميز بالسهولة والسرعة كما توفر الكثير من الوقت والجهد .

الفصل الثالث

المخطوطات

تعريف وتمهيد

المخطوطات هى الكتب المدونة بخط اليد ، والتى تحتوى على نصوص كتبها العلماء فى العصور القديمة أو الحديثة .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الأمة الإسلامية من أعظم الأمم تراثاً ، فقد ألف المسلمون الملايين من الكتب والرسائل فى شتى ميادين العلوم ومختلف نواحى المعارف الإنسانية .

وقد اشترك فى بناء هذا الصرح الشامخ من التراث الإسلامى علماء ومحدّثون وفقهاء ، ولغويون وشعراء ، وكتّاب وأدباء ، وفلاسفة وحكماء ورياضيون وفلكيون وأطباء . وألف بعضهم موسوعات ضخمة ، وكتباً لا يستطيع بعضنا ـ رغم ما حبانا الله به فى الوقت الحاضر من تسهيلات فى الحصول على المصادر والمراجع المطبوعة طبعات أنيقة ، وفى المواصلات والاتصالات ، وفى الكهرباء التى يمكنها أن تزودنا من الضوء بما يجعل ليلنا كوضح النهار ـ لا يستطيع بعضنا أن يكتب ويؤلف عشر معشار ما ألفه بعضهم من كتب ، فقد زادت مؤلفات بعضهم على المائة وبلغت مؤلفات البعض الآخر خمسمائة .

ولكن هذه الكتب والمؤلفات الكثيرة لم يصل معظمها إلى أيدينا ، بسبب ما وقع فى الماضى من فتن وحرائق وحروب ، واعتداءات من الخارج وغزوات

وحشية كانت سبباً فى تدمير المدن العامرة والعواصم الزاخرة بالمكتبات وتركها طعمة للنيران ، كغزوات المغول والحروب الصليبية وغيرها . هذا فضلا عن أن العداء بين الفرق الإسلامية أدى ببعض هذه الفرق إلى إبادة كتب بعضها بعضا، بل وإبادة مكتبات بأكملها مملوءة بالكتب ، ونحن نذكر ما حدث من إغراق المغول للكتب التى عثروا عليها فى مكتبات بغداد الزاخرة فى نهر دجلة عند احتلالهم لبغداد (١) .

ومن ذلك مثلا ما حدث بعد خروج العرب من الأندلس ، حيث كانت تقام الاحتفالات فى تلك البلاد لحرق الكتب العربية ، وقد حدث فى واحد من هذه الاحتفالات أن أحرق ألف ألف كتاب دفعة واحدة فى مدينة غرناطة .

وعندما هاجم نابليون مصر باعتباره قائد الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ م ، نقل الفرنسيون آلافاً مؤلفة من المخطوطات العربية والفارسية إلى فرنسا ، وفى ذلك يقول أحمد زكى « باشا » الذى كان أول من عمل فى ميدان جمع المخطوطات العربية ونشرها : « كل من ذهب إلى باريس واطلع على فهرس دار الكتب الأهلية فيها يأخذه العجب العجاب إن لم تساوره الأشجان والأحزان ، فلقد أصبحنا إذا احتجنا لشىء من المؤلفات العربية ... لا نرى منها شيئاً فى بلادنا ولابد من الرحلة والتغرّب لنطلبها من بلاد الغرب » (٢) .

وفى عبارة أخرى لأحمد زكى أنه لم يخلص لنا بعدما أُحرق وأُغرق ونهب من كتب غير واحد فى الألف من هذه الثروة الضخمة (٣) .

---

(١) يراجع تفصيل ذلك فى كتاب : المسلمون فى العصور الوسطى ، لعلى مظاهرى ، باللغة الفارسية، ص ٣٥٩ ، طبع طهران ١٩٧٤ م .

(٢) نقلا عن أنور الجندى : أضواء على الفكر العربى والإسلامى ، ص ٢٢ ـ ٣١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣ .

وبالرغم من هذا فإننا إذا عددنا المخطوطات العربية المتناثرة فى العالم كله نجدها لا تقل عن ثلاثة ملايين مخطوطة ، مبعثرة فى مكتبات الدول الإسلامية وغير الإسلامية . والكثير من هذه المخطوطات مجهول لا نعرف عنه شيئاً لأن بعض هذه المكتبات لم تهتم بنشر فهارس لما تقتنيه من مخطوطات عربية أو مخطوطات كتبت باللغات الإسلامية ، وخاصة الفارسية والتركية . ولا شك أن المكتبات فى العالم الإسلامى أكثر من غيرها تفريطاً فى حق هذا التراث العظيم، فمعظمها يتهاون ولا يأخذ مسألة نشر فهارس لما تقتنيه من مخطوطات بالجدية المطلوبة، وأهمية هذه الفهارس تكمن فى أنها تدل الباحثين على أماكن النسخ المخطوطة ،والمخطوطات النادرة ، فهى بمثابة الدليل على هذه المخطوطات .

ومن حسن الحظ أن العرب والمسلمين قد تنبهوا فى السنوات الأخيرة إلى قيمة تراثهم ، وأخذوا يبذلون الجهود للتعرف عليه وحصره ، وقد سارت جهودهم هذه فى اتجاهين :

الأول : جمع هذا التراث وإيداعه فى مكان واحد ليرجع إليه الباحثون . وكان أعظم الأعمال فى هذا الصدد إنشاء معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، ليقوم بتصوير هذا التراث العربى الهائل تدريجياً على الأفلام (وهو نظام رخيص السعر يعرف باسم نظام الميكروفيلم) ، ويجمعه فى مقر المعهد بالقاهرة ، ويوضع تحت تصرف العلماء والباحثين. وقد استطاع المعهد حتى الآن جمع الآلاف المؤلفة من صور المخطوطات العربية من سائر أنحاء العالم .

الثانى : فهرسة المخطوطات ، أى وضع فهارس للمكتبات التى تحتوى على مخطوطات ، وقد صدر فى السنوات الأخيرة عدد لا بأس به من هذه الفهارس ، ولكن لا يزال الطريق طويلاً وشاقاً لاستكمال مجموعة الفهارس ، خاصة فى المملكة العربية السعودية ، التى تزخر مكتباتها ـ ا لعامة والخاصة ـ بالألوف من

المخطوطات العربية التى لم يصدر لها فهارس علمية متقنة [1] . ومن ثم وجب على الباحثين العرب أن يتصدوا لهذه المسئولية .

وقد اتجهت الجامعات فى العالم الإسلامى فى الآونة الأخيرة اتجاهاً محموداً فى حث طلاب الماجستير والدكتوراه على تحقيق المخطوطات النادرة ونشرها حتى يعم نفعها .

تحقيق المخطوطات

غاية التحقيق هو تقديم النص صحيحاً كما وضعه مؤلفه . وإذا رغب الباحث فى التحقيق فإن عليه اتباع الخطوات التالية :

أولاً : اختيار الكتاب المراد تحقيقه ونشره

١ ـ ينبغى على الباحث أن يذكر أن هدفه إنما هو خدمة الحقيقة ، وإحياء النصوص ذات القيمة .

٢ ـ لابد أن يتأكد الباحث من أن الكتاب الذى اختاره لم يسبق طبعه ونشره ، وذلك باستشارة المتخصصين والرجوع إلى الفهارس والكتب التى تضم المؤلفات التى سبق نشرها .

٣ ـ غير أن مجرد نشر الكتاب لا يحول دون تحقيقه ، فهناك نشرات تجارية غير محققة لا تحول دون ذلك ، أما إذا كان الكتاب قد حقق طبقاً لمنهج علمى مقبول فلا ينبغى إعادة تحقيقه ، إلا إذا كان محتوياً على عدد كثير من العيوب والأخطاء .

---

(١) انظر : صلاح الدين المنجد : قواعد فهرسة المخطوطات العربية ، طبع بيروت سنة ١٣٩٦ هـ ، ص ٩ وما بعدها .

ثانياً : جمع نسخ المخطوط المراد تحقيقه

على الباحث أن يسعى إلى معرفة النسخ العديدة للمخطوط الذى يريد تحقيقه ، وقد تكون هذه النسخ مبعثرة فى مكتبات العالم . ويتم له التعرف على نسخ المخطوط بالرجوع إلى كتاب « تاريخ الأدب العربى لبروكلمان » ، وإلى ما صدر من كتاب فؤاد سزكين « تاريخ التراث العربى » كما ذكرنا . ويحسن به أيضاً الرجوع إلى فهارس المكتبات التى تحتفظ بمجموعات خطية عربية منها مكتبات تركيا (١) ، وفهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية ، وفهرس ظاهرية دمشق ، وفهرس المكتبات الإيرانية. ولكن من أفيد المصادر للباحث « فهرس المخطوطات المصورة » بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة ، فهو الآن من أغنى المصادر وأشملها (٢) .

وربما بذل الباحث فى مرحلة « جمع النسخ » مجهوداً كبيراً ، ولكن هذا أمر لابد منه ويخرج الباحث منه بنتيجة من اثنتين :

١ - فربما يعثر على نسخ خطية كثيرة للمخطوط ، ففى هذه الحالة ينبغى على الباحث أن يجمع أهم هذه النسخ من حيث قربها من عصر المؤلف ، ويترك النسخ الباقية .

٢ - وربما يلاحظ ندرة نسخ المخطوط . ولكن المحقق لا يجوز له أن يعتمد

(١) ذكر المستشرق الإيطالى « دى طرازى » فى كتابه : « خزائن الكتب العربية فى الخافقين » نحوا من ألف وخمسمائة مكتبة بها مخطوطات عربية ، ومن أهم هذه المكتبات مكتبات استنبول وتركيا عامة ، وهى كثيرة جداً (انظر : الدكتور محمد حمدى البكرى : أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، محاضرات للمستشرق الألمانى برجشتراسر بكلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ٣١-١٩٣٣ م ، طبع مصر ١٩٦٩ م ، ص ٩٠) .

(٢) انظر : الدكتور حسن محمود عبد اللطيف : بعض صعوبات تحقيق المخطوطات العربية ، كتاب تحت الطبع ، ص ٥ .

على نسخة وحيدة إلا إذا اطمأن إلى أنه لا توجد نسخ أخرى ، وكان النص كاملا وذا قيمة خاصة .

ثالثاً : فحص النسخ وترتيبها

إن قيمة النسخ الخطية لكتاب ما متفاوته تفاوتاً كبيراً ، فمنها ما لا قيمة له أصلا في التحقيق وتصحيح نص الكتاب ، ومنها ما يُعَوَّلُ عليه ويوثق به، ووظيفة المحقق أن يقدر قيمة كل نسخة من النسخ ويفاضل بينها وبين غيرها[1]، متبعا في ذلك القواعد التالية .

١ ـ أحسن النسخ هي التي كتبت بخط المؤلف نفسه ، وتسمى بالنسخة الأم .

٢ ـ بعد نسخة المؤلف تأتي نسخة قرأها المؤلف ، أو قرئت عليه ، وأثبت بخطة أنها قرئت عليه .

٣ ـ ثم نسخة نقلت عن نسخة المؤلف ، وقوبلت عليها .

٤ ـ ثم نسخة كتبت في عصر المؤلف .

٥ ـ نسخ أخرى كتبت بعد عصر المؤلف . والنسخ القديمة أفضل من الحديثة .

ولكن هناك بعض الاستثناءات في هذا الشرط ، فقد نصادف نسخة متأخرة جداً نسخت نسخاً جيداً عن نسخة المؤلف . المهم أن يكون هدف المحقق من والجمع هو الحصول على أقرب شكل بعيد عن التحريف لما تركه المؤلف .

ونحن نعرف أنه كلما ابتعد تاريخ المخطوطة عن زمن المؤلف زاد فيها

(١) انظر محمد حمدى البكرى ، أصول نقد النصوص ،ص ١٤ .

التحريف على أيدى النساخ [١] . ومع ذلك فقد نعثر على نسخ للمخطوط ليس عليها تاريخ النسخ ، أو أى إشارة تدل على تاريخ كتابتها . ويمكننا عندئذ تحديد تاريخها بواسطة الخط الذى كُتبت به ، فإن لكل عصر من والعصور نوعاً من الخط عُرف به . وفى دور الكتب خبراء فى معرفة تواريخ الخطوط يمكن للمحقق استشارتهم إذا لزم الأمر [٢] .

رابعاً : منهج التحقيق

ينبغى على المحقق اتباع ما يلى :

١ - التحقق من صحة الكتاب واسمه ، ونسبته إلى مؤلفه .

٢ - إذا كان لديه نسخة المؤلف ، جعلها النسخة الأم ، أما إذا كانت النسخ مختلفة فتختار نسخة لتكون أما ، وتنقل كما هى .

٣ - تقابل النسخة التى تتخذ أما مع النسخ الأخرى ، ويشار فى الحاشية إلى اختلاف النسخ .

٤ - يسمح للمحقق بإضافة حرف أو كلمة سقطت فى المتن ،على أن يضع الإضافة بين قوسين معقوفين [٣] .

خامساً : مرحلة التعليق

هذه مرحلة يقوم بها المحقق لخدمة النص ، ولتوضيح غوامضه أمام القارئ

(١) انظر صلاح الدين المنجد : قواعد تحقيق المخطوطات ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) يمكن للمحقق أيضاً مراجعة كتاب « الكتاب العربى المخطوط ، الجزء الأول ، النماذج » ، لصلاح الدين المنجد ، ومحلقات فهارس مكتبة شستربتى بانجلترا للمستشرق آربرى .

(٣) لمزيد من التفصيل راجع : صلاح الدين المنجد ، قواعد تحقيق المخطوطات، ص ٥ وما بعدها ؛ وعبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها ، طبع مصر ١٩٦٥ م، ص ٦٤ وما بعدها؛ ومحمد حمدى البكرى: أصول نقد النصوص ، ص ٤٨ وما بعدها .

وينبغى أن يكون التعليق فى أضيق الحدود ، حتى لا يشغل القارئ عن النص نفسه ، وتوضع هذه التعليقات فى الحاشية .

وينبغى أن تتضمن التعليقات ما يلى :

١ ـ تعريف موجز بالأعلام الواردة فى النص .

٢ ـ التعريف بالمجاهيل المشار إليهم نحو : « قال رجل » أو « يرى بعض الفقهاء » ، أو « قال بعض أصحابنا » .. الخ .

٣ ـ رد النصوص التى نقلها المؤلف إلى أصولها التى أخذت منها ، ويشمل ما يلى :

(أ) الآيات القرآنية : بذكر اسم السورة ، ورقم الآية .

(ب) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة .

(جـ) القصص والحكم والأمثال والأقوال المأثورة ، وذلك بردّها إلى مظانها، مع الإشارة إلى ما قد يوجد من فرق بين ما أورده المؤلف وما يوجد فى تلك المصادر .

(د) أبيات الشعر التى ترد فى ثنايا النص ، بتحديد قائلها ومكانها من ديوانه . والأمر سهل بالنسبة للشعراء المشهورين ، لكنه يصعب أحياناً بالنسبة للأبيات المختلف على نسبتها ، وهنا ينبغى الاستعانة بالمتخصصين بجانب استشارة المجموعات الشعرية للعصور المختلفة [1] .

سادساً : كتابة مقدمة التحقيق وإعداد الفهارس

باكتمال مرحلة « التعليق » يتم عمل المحقق المتصل بالنص نفسه ، ولكن

---

(١) انظر : حسن محمود عبد اللطيف : بعض صعوبات تحقيق المخطوطات، ص ١٤ ـ ١٥ .

يبقى عليه واجبان ليكتمل عمله كله، وهما : إعداد مقدمة التحقيق ، وإلحاق فهارس منظمة مفصلة بمحتويات الكتاب .

أما المقدمة فتشتمل على ما يلى :

١ ـ التعريف بالمؤلف ، وظروف تأليفه للكتاب ، وغرضه من تأليفه .

٢ ـ وصف النسخ التى اعتمد عليها فى التحقيق وصفاً مفصلاً دقيقاً ، مع وضع رمز لكل نسخة ، نسخة (أ) ونسخة (ب) ... الخ ، والأماكن التى جاءت منها .

٣ ـ يصف المحقق منهجه وأسلوبه الخاص فى التحقيق .

٤ ـ يشير إلى الفهارس التى ألحقها بالنص وأساليب ترتيبها .

٥ ـ يعرّف بالكتاب وموضوعه وأهميته تعريفاً سريعاً .

أما الفهارس فتشمل عادة :

١ ـ فهرس بموضوعات الكتاب مقرونة بأرقام الصفحات .

٢ ـ فهرس لأعلام الأشخاص الواردة فى النص.

٣ ـ فهرس للأماكن والبلدان والطوائف والفرق والنحل ونحوها .

٤ ـ قد يرى بعض المحققين إضافة فهرس للمسائل والمصطلحات العلمية ، وبيان مواضع ورودها فى النص ، وتحديد مضمون كل منها .

الباب الخامس

مصادر الشريعة الإسلامية

لا يسعنا المجال هنا لتقصى المؤلفات والموسوعات الضخمة التى ألفها العلماء المسلمون فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتوضيح مفاهيم العقيدة الغرّاء ، فهذا أمر يحتاج منا إلى مجلدات ضخمة عديدة .

ولذا سنعرض فى هذا الباب ـ بإيجاز ـ لأهم المصادر فى ثلاثة من العلوم الرئيسية فى مجال الشريعة الإسلامية ، وهى : **التفسير** ، **والحديث** ، **والفقه**. فنخصص لكل علم منها فصلا مستقلا نتناول فيه عرضاً لأهم مصادره .

الفصل الأول

مصادر التفسير

تقديم

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل ، وكلمة الله الأخيرة إلى الإنسان ، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد. ولذلك كان من الطبيعى أن يحظى بمحاولات جادة مستمرة من جانب أعلام الأمة الإسلامية وعلمائها الأفذاذ لفهم نصوصه المطهرة والعمل بما تضمنته من أحكام. لكن التمعن فى القرآن واستنباط الأحكام والعلوم منه أمر لا يتيسر لكل عالم ، بل إن للتفسير شروطا وآداباً صارمة دقيقة وضعها العلماء للتقيد بها عند محاولة تفسير القرآن الكريم حتى لا يعرّضوا أنفسهم لما حذّر منه النبى ﷺ بقوله : « من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ وإن أصاب » .

على أن مناهج المفسرين فى تفسيرهم للقرآن الكريم قد تنوعت وتعددت ، فمنهم من التزم بما أُثر عن النبى ﷺ فى بيان المعنى المجمل من القرآن وإيضاح المعنى القرآنى وتقريبه ، وما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم فى تقرير معانى كثير من الآيات ، وقد عرف هذا النوع من التفسير بالتفسير « بالمأثور » .

ومنهم من اتجه إلى التفسير القائم على التدبّر والفهم لكتاب الله تعالى والاستعانة فى ذلك بالعلوم الخادمة لهذا الغرض الجليل ، وأهمها علوم العربية: نحوها ، وصرفها ، وبلاغتها ، وما روى عن النبى ﷺ قولا وعملا ، وعلم العقائد وأصول الفقه ، وما إلى ذلك من العلوم . وقد سمى هذا النوع بالتفسير « بالرأى » .

وقد اختلفت طرق المفسرين ومناهجهم تبعاً لاختلاف مذاهبهم ومشاربهم

فمنهم من توسّع فى النواحى الفقهية والشرعية ، ومنهم من توسع فى القصص والأخبار ، ومنهم من توسع فى الأخلاق والمواعظ .

وخلّف هؤلاء المفسرون ـ على اختلاف مناهجهم ـ ثروة علمية هائلة ، إن دلت على شئ فإنما تدل على عناية هذه الأمة بخدمة كتاب ربها حفظاً وشرحاً واستنباطاً لأحكام الشريعة الغراء .

وسنكتفى ـ فيما يلى ـ بعرض أربعة نماذج من مصادر التفسير المشهورة ، نعرّف فى كل منها بالمؤلف ومؤلفاته ، ثم نتطرق إلى منهجه فى تفسيره :

جامع البيان فى تفسير القرآن
لابن جرير الطبرى

١ ـ المؤلف

هو شيخ المفسرين وإمام مؤرخى الإسلام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، ولد بمنطقة طبرستان من بلاد الفرس سنة ٢٢٥ هـ ، وطلب العلم منذ نعومة أظفاره فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين ، ورحل فى طلب العلم إلى العديد من المدن الإسلامية الزاهرة، فسافر إلى الرى ، والبصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والشام ، ومصر . ثم ما لبث أن استقر ببغداد وانقطع للتدريس فيها حتى وافته المنية فى شوال سنة ٣١٠ .

قال الخطيب البغدادى صاحب كتاب تاريخ بغداد « كان ابن جرير أحد الأئمة ، يُحكم بقوله ، ويُرجع إلى رأيه ، لمعرفته وفضله ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ... إلخ » (١) .

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، طبع مصر ١٣٤٩ ، جـ ٤ ص ٣٥٧ .

ب ـ مؤلفاته

كان ابن جرير ـ إلى جانب عنايته بالتفسير والتأريخ ـ فقيها صاحب مذهب فى الفقه [1] ، وكان كثير الإنتاج والتأليف فى هذه العلوم وغيرها ، وقد ذكر الخطيب البغدادى أنه واظب على الكتابة أربعين سنة ، وأنه كان يكتب فى كل يوم أربعين ورقة .

وهذا يعنى أنه كتب نحو ستمائة ألف ورقة . ولذلك تعددت مؤلفاته وتنوعت، ومن حسن الحظ أن أهم مؤلفاته قد سَلِمت من الضياع ووصلت إلينا ، أما باقى مؤلفاته فهو مفقود ، وعسى ألا يطول فقده ، وأن يوفق الله الباحثين إلى العثور عليه وإحيائه .

ومن أهم مؤلفاته :

- كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن .
- كتاب تاريخ الأمم والملوك .
- كتاب اختلاف الفقهاء .
- كتاب القراءات وتنزيل القرآن .

جـ ـ كتاب التفسير

هو من أهم وأكبر كتب التفسير فى المكتبة العربية ، يقع فى ثلاثين جزءاً ، ولقد اعتمد فيه مؤلفه على التفسير بالمأثور ، مما روى عن النبى ﷺ ، وبما روى عن الصحابة والتابعين ، متبعاً طريقة الإسناد الدقيقة فى سلاسل الروايات. وكان

(١) انظر الدكتور منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين ، طبع مصر سنة ١٩٧٨م ، ص ٣٩ .

من الطبيعى أن يُكثر الطبرى فى تفسيره من الأحاديث النبوية ، فقد اعتمد على هذه الأحاديث فى تفسيره للآيات القرآنية الكريمة . ولا غرو فقد درس الطبرى الحديث على كبار المحدّثين فى عصره ، وفى مقدمتهم علماء طبرستان ، كما عرض وجوه القراءات ، ورجح ما ارتضاه ، لأنه كان عالماً بالقراءات ، مؤلفاً فيها، كما سبق أن ذكرنا .

من أجل هذا كله حاز تفسير الطبرى تقديراً كبيراً من العلماء حتى قال فيه أحد العلماء ، وهو أبو حامد الاسفرايينى : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً .

وقال السيوطى : « كتاب الطبرى فى التفسير أجلّ التفاسير وأعظمها ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض .... فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين »[1].

٢ - تفسير القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

أ - المؤلف

هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير ، الفقيه الشافعى ، والمحدّث الثقة ، والمؤرّخ المعروف .

ولد بالقرب من دمشق سنة ٧٠١ ، وعاش معظم حياته فى دمشق ، واتجه منذ صغره إلى العلم ، فسمع عن كثير من العلماء وتفقه على العديد منهم ، وأقبل على علم الحديث ، وأخذ عن ابن تيمية ، ففُتن بحبه ، وامتُحن بسببه ،

(١) نقلا عن : منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين ، ص ٤٦ .

وبرع فى حفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ ، حتى برع فى ذلك كله وهو شاب . تحدّث عنه الإمام الذهبى فى معجمه فقال : « الإمام المفتى ، المحدّث البارع ، فقيه متفنّن ، ومحدّث متقن ، ومفسّر نقاد » .

وقد توفى الإمام ابن كثير سنة ٧٧٤ .

ب ـ مؤلفاته

تعددت مؤلفات ابن كثير ، وتنوعت مجالاتها ، فلقد ألف فى التفسير ، والتاريخ والحديث ، وهذه بعض مؤلفاته :

البداية والنهاية (فى التاريخ) ، وشرح صحيح البخارى (لم يكمله) ، وجامع المسانيد ، والباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث .

جـ ـ تفسيره :

وضع ابن كثير منهجاً مثالياً فى التفسير ، فكان منهجه على النحو التالى :

١ ـ أن يفسر القرآن بالقرآن .

٢ ـ فإن تعذر ذلك فعلى المفسر أن يفسر بالسنة فإنها شارحة للقرآن .

٣ ـ فإن لم نجد رجعنا إلى أقوال الصحابة ، فهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها .

٤ ـ فإن لم نجد رجعنا إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب وغيرهم .

وقد سبق ابن كثير منهجه هذا فى كتابه التفسير . ومن أجل ذلك كان تفسيره من أنفس التفاسير وأنفعها .

وقد طبع تفسير ابن كثير فى سبعة مجلدات .

٣ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور

للحافظ جلال الدين السيوطى

أ ـ المؤلف

ولد فى رجب سنة ٨٤٩ ، وختم القرآن الكريم وله من العمر ثمان سنين . وكان صاحب ذاكرة قوية ، وجد واجتهاد ، فدرس على عدد كبير من المشايخ والأساتذة وصل عددهم إلى نحو ستمائة ، أما مشايخه فى الرواية سماعاً وإجازة فقد وصل عددهم إلى مائة وخمسين ، وقد انقطع فى أواخر حياته للتأليف والكتابة حتى توفى سنة ٩١١ بالقاهرة .

ب ـ مؤلفاته

كان السيوطى خصباً فى التأليف ، أربت مولفاته على ٥٠٠ كتاب ، فى التفسير ، والحديث ، والمصطلح ، والفقه ،وأصول الفقه ، واللغة ، والتاريخ ، والطبقات وغيرها ، وفيما يلى أسماء بعض مؤلفاته :

١ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور .

٢ ـ الإتقان فى علوم القرآن .

٣ ـ صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام .

٤ ـ حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

جـ ـ تفسيره :

يعد الدر المنثور أجمع كتاب للتفسير بالمأثور ، لم يبد فيه السيوطى رأياً ، ولم يأت فيه بكلمة أو جملة من عنده ، وإنما التزم التزاماً كاملاً بأن يكون

تفسيره جمعاً لأحاديث النبى ﷺ فى تفسير الآية ، وسرداً لبعض أقوال الصحابة رضى الله عنهم[1] .

وقد طبع الكتاب طبعة غير محققة ، وهو فى حاجة إلى تحقيق .

٤ - فتح القدير

للإمام الشوكانى

ا - المؤلف

هو الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى. ولد فى سنة ١١٧٣ ، فى هجرة شوكان « باليمن » ونشأ بصنعاء فى كنف أبيه الذى تولى القضاء مدة أربعين عاماً ، وكان رجلاً ورعاً تقياً ، فعنى عناية كبيرة بتثقيف ابنه وتعليمه .

حفظ فى صغره القرآن الكريم وجوّده ، كما حفظ كثيراً من المتون ، وتتلمذ على عدد من علماء اليمن ، وبلغ الأمر بنبوغه أنه تصدر للإفتاء وهو فى سن العشرين، واشتغل بالتدريس إلى أن تولى منصب قاضى القضاة ، لكنه جمع بين هذا المنصب وبين مهمة التدريس حتى توفى سنة ١٢٥٠ .

ب - مؤلفاته : **من أهم كتبه** :

١ - فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من التفسير .

٢ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار فى الحديث .

٣ - البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع .

(١) انظر : منيع عبد الحليم محمود ، مناهج المفسرين ، ص ٢٥١ .

جـ ـ تفسيره

نستطيع أن نعرف منهج الشوكانى وطريقته فى التفسير إذا نظرنا إلى عنوان كتابه : فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية فى التفسير . فهو ليس تفسيراً بالمأثور فقط ، وإنما هو تفسير يجمع بين « الرواية والدراية » ، والرواية هى إيراد المأثورات ، والدراية هى إبداء الرأى الشخصى بعد الفهم والتأمل فى الآية . وقد أجاد الشوكانى فى باب الدراية ، وتوسع فى باب الرواية ، وأفاد من العديد من المفسرين المتقدمين .

وقد طبع الكتاب عدة مرات فى خمسة أجزاء .

الفصل الثاني

مصادر الحديث

إذا كان القرآن الكريم هو الأصل الأول فى الدين فإن السنة هى الأصل الثانى ، وهى المبيّنة للقرآن المفصلة لإجماله ، والموضحة للتشريع . والسنة ، والحديث ، والأثر ، والخبر ، ألفاظ لمعنى واحد ، يطلقها العلماء على ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو إلى الصحابى أو التابعى[1] .

ولقد لقى الحديث الشريف ، منذ عهد النبى ﷺ ، عناية بالغة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وعلماء المسلمين حتى عصرنا الحاضر .

وسنعرض فيما يلى لأربعة من أهم مصادر الحديث الشريف ، فنتعرف ـ كما سبق لنا فى القسم الخاص بالتفسير ـ على المؤلف ، ومؤلفاته ثم نتعرف بعد ذلك على كتابه .

١ ـ صحيح البخارى

أ ـ المؤلف

هو الإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخارى ، نسبة إلى بخارى ، وهى واحدة من أكبر مدن بلاد ما وراء النهر التى تقع الآن فى جمهورية أوزبكستان، فى آسيا الوسطى .

---

(١) انظر : الدكتور الحسينى هاشم : أئمة الحديث النبوى ، طبع مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، ١٣٩٨ ، ص٢١ .

ولد البخارى سنة ١٩٤هـ ، كان أبوه من العلماء العاملين المهتمين بالحديث الشريف ، غير أن أباه ما لبث أن توفى وترك ابنه يتيماً فى رعاية أمه التى وجهته إلى دراسة العلوم الدينية والحديث على وجه الخصوص ، فظهرت عليه علامات النجابة ، وجاب أقطار العالم الإسلامى من أجل هذا الغرض الجليل وبذل فى ذلك غاية الوسع وجهد الطاقة ، ثم عاد إلى بلاده وتوفى سنة ٢٥٦ هـ.

ب ـ مؤلفاته

من أهمها ما يلى :

١ ـ الجامع الصحيح . ٢ ـ الأدب المفرد .

٣ ـ رفع اليدين فى الصلاة ٤ ـ التاريخ الكبير .

٥ ـ كتاب الضعفاء . ٦ ـ كتاب التفسير الكبير (١) .

جـ ـ كتاب الصحيح

قال فيه العلماء إنه أصح كتاب بعد كتاب الله . وقد أسماه البخارى «الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » وقد عُرف اختصاراً بصحيح البخارى .

وقد استغرق انتقاء الجامع الصحيح ست عشرة سنة من العمل المتواصل وخرّجه من ستمائة ألف حديث ، وكان يغتسل ويصلى ركعتين قبل أن يكتب فيه حديثاً ويستخير الله تعالى فى كتابته .

وقد بلغ عدد أحاديث صحيح البخارى ـ كما قال ابن حجر العسقلانى فى

(١) لم يطبع هذا الكتاب ، ومنه نسخة خطية بمكتبه الجزائر (انظر أئمة الحديث النبوى الشريف، ص ١١٤) .

كتابه : « فتح البارى فى شرح صحيح البخارى » ـ ٧٣٩٧ حديثاً سوى المعلقات [1] ويقع الكتاب فى ٧٩ فصلاً .

وقد عنى علماء الحديث بشرح صحيح البخارى وإجلاء غوامضه ، فألفت عدة كتب فى شرحه من أهمها كتاب « فتح البارى فى شرح صحيح البخارى» لابن حجر العسقلانى (المتوفى سنة ٨٥٢)، ويقع هذا الشرح ـ الذى يعد فى الواقع من أهم مصادر الثقافة الإسلامية – فى ١٧ مجلداً .

كما عنى العلماء بوضع فهارس للأحاديث الواردة فى صحيح البخارى لتيسير الرجوع إلى هذه الأحاديث فى الكتاب ، ومن أهمها كتاب « مفتاح كنوز البخارى » لمحمد فؤاد عبد الباقى .

٢ ـ صحيح مُسلم

أ ـ المؤلف

هو الإمام أبو الحسين مُسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى . ولد فى نيسابور من مدن خراسان سنة ٢٠٦ فى عصر ارتفعت فيه مكانة الحديث .

وقد نشأ فى بيت علم ، فكان أبوه عالماً أخذ عنه طلب العلم ، وخاصة علم الحديث ، الذى آثر الرحلة فى طلبه إلى كثير من الأمصار ، فسافر إلى العراق والحجاز ومصر ، وسمع بالرى وخراسان ، وجالس الإمام البخارى وأفاد من طريقته .

وقد اتسمت شخصيته بطابع البحث العلمى الجاد ، وانعكس ذلك على مؤلفاته التى تميزت بدقة الفهم وروعة الاستنباط . وتوفى فى نيسابور سنة ٢٦١

(١) المعلق : ما ورد بسند غير متصل بأن حذف من أول إسناده راو أو أكثر ، وجاء به البخارى هكذا ليبين أنه ليس من مقصود كتابه وإنما أتى به إيناساً واستشهاداً ، ولزيادة التوضيح .

بعد حياة حافلة بخدمة الحديث النبوى الشريف .

ب ـ مؤلفاته

تركز اهتمام مسلم ـ فيما ألفه من كتب ـ على علم الحديث وطبقات المحدّثين ، ومن أهم مؤلفاته فى هذا الصدد :

١ ـ أوهام المحدثين . ٢ ـ الأسماء والكنى .

٣ ـ العلل . ٤ ـ مشايخ مالك .

٥ ـ كتاب من ليس له إلا راو واحد .

وقد ضاعت هذه الكتب كلها ، ولم يبق له إلا كتابه الكبير « صحيح مسلم » .

جـ ـ كتابه

استغرق تأليفه خمس عشرة سنة ، وجمع فيه أربعة آلاف حديث من غير المكرر ، انتقاها من ثلاثمائة ألف حديث .

وقد امتاز صحيح مسلم بخصائص ومزايا أهمها :

١ ـ خلوصه للحديث فقط ، فليست فيه استناجات فقهية أو أصول أو تعريفات علمية .

٢ ـ صنّف مسلم كتابه فى بلده فى حياة كثير من مشايخه ، فكان يتحرى فى الألفاظ ، وفى السياق .

٣ ـ رسم خطة بحثه فى أول صحيحه ، وذكر فيها سبب جمعه الصحيح وأقسام الأخبار ، والمنهج الحقيقى فى تقدير الرواة ، وبهذا كان صحيحه عبارة عن منهج وتطبيق لهذا المنهج[١] ؛ وهو مستوى من المستويات الرفيعة فى

(١) انظر : الحسينى هاشم ، أئمة الحديث النبوى ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

المؤلفات والأبحاث العلمية ، كما ذكرنا فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا الكتاب[1] . وكما عنى العلماء بصحيح البخارى عنوا أيضاً بصحيح مسلم، فنهض كثير منهم لشرحه وتقريبه للناس ، ومن أهم شروحه المطبوعة والمتداولة بين الناس كتاب « المنهاج فى شرح مسلم بن الحجاج » للنووى المتوفى سنة ٦٧٦ .

٣ ـ سنن أبى داود

أ ـ المؤلف

هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستانى ، ولد فى سنة ٢٠٢ ، ورحل إلى كثير من البلاد وسمع من شيوخها . ويقال إنه صنف كتاب السنن فى بغداد وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه . ثم نزل بالبصرة ، وكانت وفاته بها سنة ٢٧٥ .

ب ـ مؤلفاته

ترك أبو داود ثروة من المؤلفات فى موضوعات مهمة متنوعة ، لكن أكثر هذه المؤلفات ما يزال مفقوداً حتى الآن ، ومن أشهر مؤلفاته :

كتاب السنن ، كتاب القَدَر ، كتاب النّاسخ والمنسوخ ، كتاب الزهد ، كتاب دلائل النبوة ، كتاب أخبار الخوارج .

جـ ـ كتاب السنن

انتقاه من خمسمائة ألف حديث ، فبلغ ٤٨٠٠ حديثا كلها فى الأحكام ، فصار الكتاب بذلك مرجع الفقهاء وعُدّة المجتهدين .

---

(١) انظر ما سبق ص ٤٧ وما بعدها .

وعدّ العلامة شاه وليُّ الله الدهلوى فى كتابه « حجة الله البالغة » سنن أبى داود من الطبقة الثانية من كتب الحديث ، ورأى أنها لم تبلغ مبلغ الصحيحين ولكنها تتلوهما .

وقام كثير من العلماء ـ فى مختلف العصور ـ بشرح السنن ، وتحقيق ما فيه من الروايات واستنباط الأحكام والكشف عن المفاهيم الفقهية من الأحاديث، ومن أهمها كتاب « معالم السنن » لأبى سليمان أحمد بن إبراهيم البُستى ، المتوفى سنة ٣٨٨ ، وهو شرح موجود متداول .

٤ ـ مسند الإمام أحمد

أ ـ المؤلف

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى المروزى ، ثم البغدادى ، صاحب المذهب الحنبلى. قدم أبوه من مرو وهو حمل فى بطن أمه فوضعته أمه فى بغداد سنة ١٦٤ . وقد اتجه فى حداثته إلى دراسة الفقه ثم ترك ذلك إلى سماع الحديث، ورحل إلى الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة وجاور بهما بعض الوقت ، ثم عاد إلى بغداد حيث توفى سنة ٢٤١ .

ب ـ مؤلفاته

من أهمها : المسند ، كتاب الناسخ والمنسوخ ، فضائل الصحابة ، المناسك، الزهد .

جـ ـ مسنده

سُمى بالمسند لأنه يقوم على جمع أحاديث كل صحابى على حدة دون

نظر إلى موضوع الحديث ، وهذا هو المُسنَد فى اصطلاح أهل الحديث . وقد رتبه على حسب فضل الصحابة فبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة ثم بمن بعدهم .

وقد اشتمل المسند على ٤٠ ألف حديث بالمكرر ، و ٣٠ ألف من غير المكرر وامتاز المسند بثلاثياته ، وهى الأحاديث التى ليس بينها وبين الرسول ﷺ فيها إلا ثلاثة رواة ، وتزيد هذه الأحاديث فى المسند عن ٣٠٠٠ حديث .

ويُعد المسند أشمل كتب السنة وأوعاها لكل ما يحتاج إليه المسلم فى أمر دينه ودنياه. قال أحمد عن مسنده : عملت هذا الكتاب إماماً ، إذا اختلف الناس فى سنة رسول الله ﷺ رُجع إليه .

الفصل الثالث

مصادر الفقه

التشريع الإسلامى ليس من وضع أحد من الناس ، بل هو تشريع إلهى جاء به القرآن الكريم وسنّة الرسول خاتم الأنبياء والمرسلين . وعمل الفقهاء هو : فهم هذين المصدرين العظيمين ، واستنباط الأحكام الشرعية منهما ، وذلك فى الأحكام التى جاءت بالنص فى أحدهما .

ونحن نعرف أن مصادر التشريع الإسلامى –عند الجمهور– أربعة هى : القرآن الكريم ، والسنة ، والإجماع ، والاجتهاد بالقياس أو بأى طريق من طرق الاستنباط . كما نعرف أنه لم يقع اختلاف فى حكم الواقعة فى عهد النبى ﷺ ـ لأن المرجع التشريعى واحد . ثم لما تعدد رجال التشريع بعد ذلك فى زمن الصحابة ، وقع بينهم اختلاف فى بعض الأحكام ، وصدرت عنهم فى الواقعة الواحدة فتاوى مختلفة ، غير أن هذا الاختلاف كان لابد أن يقع بينهم، لأن فهم المراد من النصوص يختلف باختلاف العقول ووجهات النظر ، ولأن السنّة لم يكن علمهم بها وحفظهم لها على السواء ، وربما وقف بعضهم منها على ما لا يقف عليه الآخر لاختلاف البيئات التى يعيش فيها رجال التشريع . ومن الواضح أنهم اختلفوا فى الفروع فقط ، ولم يختلفوا فى أصول التشريع ولا فى خطته .

وفى القرن الثانى الهجرى ظهرت طبقة الأئمة المجتهدين ، ولم تقف أسباب اختلافهم عند الأسباب المذكورة ، بل جاوزتها إلى أسباب تتصل بمصادر التشريع وبالنزعة التشريعية ، والمبادىء اللغوية التى تُطبّق فى فهم

النصوص [1] ، مما ترتب عليه ظهور المذاهب فى الفقه الإسلامى ، فصار الفقه وأحكامه علماً ذا مسائل كلية تطبق على ما وقع وما لم يقع ، ودُوِّنت فيه منذ ذلك العصر موسوعات لا تزال مرجع المسلمين حتى اليوم ، ومن أشهر هذه الموسوعات [2] :

١ ـ « كتب ظاهر الرواية الستة » فى مذهب الإمام أبى حنيفة التى رواها محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ عن أبى يوسف عن أبى حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ ، وقد ضم هذه الكتب كتابُ « الكافى » للحاكم الشهيد .

٢ ـ « المدوّنة الكبرى » فى مذهب الإمام مالك ، رواها سحنون (وهو عبد السلام بن سعيد التنوخى) المتوفى سنة ٢٤٠ عن أستاذه عبد الرحمن ابن القاسم العتقى ، عن أستاذة الإمام مالك بن أنس الأصبحى (المتوفى سنة ١٧٨ بالمدينة المنورة) .

٣ ـ « الأم » للإمام الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ ، والكتاب أملاه الإمام الشافعى على تلاميذه بمصر .

٤ ـ « المُغنى » لموفق الدين عبد الله بن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠ ، وهو فى مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

---

(١) انظر : عبد الوهاب خلاف: خلاصة تاريخ التشريع الإسلامى ، طبع دار القلم بالكويت، سنة ١٣٩١، ص ٧٠ ـ ٧٢؛ ومحمد الخضرى: تاريخ التشريع الإسلامى، طبع مصر ١٣٥٣، ص ١٨٢ وما بعدها .

(٢) لمزيد من التفصيل فى مصادر الفقه الإسلامى حتى سنة ٤١٠ راجع كتاب « تاريخ التراث العربى » لفؤاد سزكين، الترجمة العربية، الجزء الثانى ، طبع مصر ١٩٧٨ ص ٧ ـ ٣٤١ .

الباب السادس

البحث الأدبى ومصادر الدراسات الأدبية

يتناول هذا الباب مجموعة من النقاط المتعلقة بالبحث الأدبى ، نبدأها بتحديد **طبيعة البحث الأدبى وتطور مناهجه** . ثم ننتقل إلى الحديث عن **دراسة الأدب** وكيفية معالجته ، **وتوثيق النص** ثم نختتم هذا الباب بحديث سريع عن **أهم مصادر الدراسات الأدبية** .

الفصل الأول

طبيعة البحث الأدبى وتطور مناهجه

١ ـ طبيعة البحث الأدبى

البحث الأدبى مجاله وميدانه الأدب بفرعيه : الشعر والنثر . ومعلوم أن الأدب يخاطب العاطفة الإنسانية ، ويعتمد على الخيال لإثارة الانفعالات فى قلوب القرّاء والسامعين ، ومن ثم يلجأ الأديب إلى استخدام التشبيه والمجاز والكنايات والاستعارات لكى يصوّر للناس انفعالاته الذاتية ، وهى الانفعالات التى تختلف على نفسه ، فيأتينا تصويره للأشياء التى يراها متفقاً مع حالته النفسية من فرح أو حزن ، قبض أو بسط . فقد نقرأ للأديب وصفاً للبحر فى وقت كان يحس فيه بالفرح يغمر نفسه فنجده يصف أمواجه بأن كل واحدة منها تعانق الأخرى ثم تلازمها متجهة نحو الشاطئ حيث الاستقرار والراحة والهدوء ، ويصف الأسماك فى أعماقه فيشير إلى أنها ملونة بألوان زاهية جميلة وأنها تلاعب بعضها بعضا فى خفّة ودلال ، ويصف منظر البحر وقد أخذت الشمس ترقُبه من كثب عند انقضاء النهار وتحيطه بأشعتها الحانية ، ولكن نفس الأديب قد يصف البحر نفسه والأمواج نفسها والمنظر بأكمله وصفاً مغايراً لهذا الوصف الأول حين يكون مكتئباً حزينا ، فتبدو أمامه زرقة البحر الصافية زرقة داكنة ، ويتحول عناق الأمواج إلى صراع دائم بينها ، ويصف هذه الحركة والحياة التى يزخر البحر بها بأن البحر إنما يئن ويلهث ويكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة .

ولذا يقال إن الأديب لا يتحدث حديث الشخص العادى الذى يخبرنا بأنه فرح أو بأنه حزين ، إنما هو يصور لنا أحاسيسه ومشاعره ومعانيه فى صورة مجسدة .

ومن ثم كانت مادة الأدب العواطف والخواطر والمعانى ، وهى معانٍ تؤثّر فينا وقد تمتعنا وتشجبنا .

فالأدب إذن غذاء العاطفة والوجدان ، ربما يداخله الفكر وربما يعمد إلى مخاطبة العقل والذهن أحياناً ، لكنه يجب ألا يغيب عنه أنه إنما يخاطب العاطفة قبل مخاطبة العقل . فوظيفة الأدب أن يؤدى حالات ومواقف وجدانية، ويدل على ذلك أن الحقيقة الواحدة عند الأديب تتبدل بتبدل أحواله كما ذكرنا فى المثال السابق عن البحر ، فالبحر لم يتبدل ، وإنما الذى تبدل هو مزاج الشاعر ، فتبدلت الحقائق فى خياله وتصوره .

والتعبير عن العاطفة ليس بالأمر السهل ، فكثيراً ما يتعذر على الأديب أن يجد الكلمة الدقيقة التى يعبر بها عن الحقائق التى يبصرها ، ومن باب أولى أن يجد صعوبة فى العثور على الكلمات الدقيقة التى يعبر بها عما يجيش فى نفسه من معان عاطفية، ولذلك تلعب الكلمة فى الأدب دوراً رئيسياً ، فهى لا تؤدى معنى محدداً بل تؤدى معنى سيّالاً لا يتوقف ، على نحو ما نلاحظ فى كلمات الفرح والحزن والرضا والغضب والحب والكره ، فكل هذه الألفاظ وما يماثلها تشير إلى نوع العاطفة لكنها لا توضح درجتها ، فالكلمة تبدو وكأن معناها اللغوى غير منحصر. وإلى جانب المعنى اللغوى للكلمة هناك معنى بيانى لها ، فقد يضطر الأديب أثناء بحثه عن الأداء الدقيق لمعانيه العاطفية أن يسمى أشياء بأسماء أخرى كأن يسمى الكريم بحرا والشجاع أسدا.

وهناك معنى ثالث للكلمة فى الأدب ، هو معناها الصوتى ، فالأديب يحاول بكل وسائل التعبير أن يوصل لقارئه ـ بأكبر قدر من الوضوح ـ تلك المعانى الوجدانية الغامضة التى يشعر بها ، ويشعر أن هناك نقصاً فى هذا الأداء لمعانيه، ومن ثم يحتال إلى إكمال هذا النقص بالجرس الموسيقى ، ولهذا ظهر الشعر الموزون المقفّى ، كما ظهر النثر المسجوع ، وقد بلغ العرب ـ دون سائر الأمم ـ فى كلا الفنين الغاية[1] .

٢ ـ تطور مناهج البحث الأدبى

سبق أن قدمنا أن أول منهج وضع للبحث العلمى إنما هو منهج أرسطو الذى سماه « المنطق » ، وأن العرب أفادوا فى مختلف علومهم من منطق أرسطو ، لكنهم نقدوه بعد أن تبين لهم أنه ناقص لعدم استناده إلى الواقع وإلى التجربة، وبنقدهم له اكتشفوا ـ كما ذكرنا ـ المنهج التجريبى الاستقرائى الذى عُدّ بحق كشفا من أكبر الكشوف العلمية فى تاريخ البشرية، وتسبب فى كل الإنجازات العلمية التى حققها علماء المسلمين وغيرهم فى سائر مجالات العلوم والطب والحساب والفلك والبصريات وغيرها .

ومن أهم البحوث العلمية التى طبق فيها العرب مبدأ التجربة والاستقراء علم النحو ، الذى اعتمدت مبادئه على السماع ، سماع القرآن الكريم فى لغته المثلى ، وسماع البدو الخُلّص الذين يوثق بفصاحتهم من أهل الحجاز ونجد وتهامة . وجعلوا للسماع قواعد ثابتة ، هذه القواعد قائمة أساساً على استقراء واسع ولا تُبنى إلا على الأعم الغالب ، فلا يقاس على الشاذ ، إنما يقاس على الكثرة الغالبة المستمدة من الاستقراء الدقيق .

(١) انظر . الدكتور شوقى ضيف ، البحث الأدبى ، ص ٩٣ وما بعدها

كذلك الأدب ، طبّق القدماء فيه كل ما اتخذه المحدثون من مناهج دقيقة لرواية الشعراء وأخبارهم . فأبو الفرج الإصبهانى يتبع فى كتابه « الأغانى » ـ الذى ضم تراجم شعراء العصر الجاهلى والقرون الثلاثة الأولى للإسلام ـ يتبع طريقة جمع الأخبار من هنا وهناك عن هؤلاء الشعراء ، لا يراعى فيها ترتيبا ، بل قد يبدو أن فيها بعض التناقض أحياناً ، كما فى أخبار قيس بن الملوح مجنون بنى عامر . لكن هذه الأخبار على تفرقها إذا اطلعت عليها استطعت أن تسوى منها حياة الشاعر وأدوارها ، وظروفه العامة والخاصة وعلاقاته بمعاصريه .

ويميل أبو الفرج ميلاً شديداً إلى استقصاء أخبار الشاعر وكل ما يتصل بأخلاقه وعقيدته ومعرفة آراء النقاد فيه ، وكثيراً ما يرجع أبو الفرج إلى ديوان الشاعر ليتحقق من صحة آراء هؤلاء النقاد ، مثلما رجع إلى أشعار ابن ميادة ، ليتأكد من عقيدته الدينية وهل هو مسلم أو مسيحى ، ولاحظ أنه يحلف فى هذه الأشعار بالإنجيل والرهبان والأيمان التى يحلف بها النصارى ، فتحقق من أنه مسيحى. وفى ذلك ما يوضح لنا أن البحوث الأدبية عند العرب كانت تعنى بالاستقصاء والاستقراء فى آن واحد ، كما كانت تعتمد على دقة الملاحظة واستخلاص النتائج ، الأمر الذى أدى بهم إلى اكتشاف خصائص الشعراء ومذاهبهم الفنية .

كانت أوربا فى عصور الظلام لا تدرى شيئاً من أمر البحث العلمى القائم على التجربة والاستقراء ، وعن طريق جامعات الأندلس العربية تعلم الأوربيون المنهج التجريبى ، وبدأ عندهم عصر النهضة فى جميع مظاهر الحياة، وتقدمت العلوم الطبيعية تقدما هائلاً فطفرت طفرة كبيرة مخلّفة وراءها الدراسات الأدبية

والإنسانية التى لم تستطع أن تواكب التطور فى العلوم الطبيعية ، مما حدا بالباحثين فى تاريخ الآداب أن يحاولوا إخضاعها لمقاييس العلوم الطبيعية حينا ، ومعايير البحوث النفسية والاجتماعية حينا آخر ، كما سنرى .

ففى بداية القرن التاسع عشر الميلادى بدأت مناهج البحث الأدبى تتأثر تأثراً واضحاً **بالعلوم الطبيعية** ، وتدرس الأدب وآثاره على أنه ثمرة قوانين حتمية عملت فى القديم وتعمل فى الحاضر وتظل تعمل فى المستقبل. ولذا كان لابد وفقاً لهذا المبدأ من دراسة الأديب دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية عن نشأته وبيئته الخاصة وظروفه العائلية وحياته الزوجية وفترات حياته كلها وعلاقته بأساتذته ، وبيئته العامة وعصره والحياة الثقافية والأدبية فى ذلك العصر ، لأن هذه العوامل كلها تؤثر فى إنتاج الأديب من شعر ونثر .

ثم جاءت فترة بعد ذلك طغت فيها **الدراسات الاجتماعية** على مناهج البحث ، فقيل إن الأدب مرآة المجتمع الذى أنشئ فيه ، وأن الأديب يصدر فيما يكتبه عن مجتمعه الذى يعيش فيه ، وأنه ليس بصحيح أن بين الأدباء من يستطيعون الانعزال عن مجتمعهم فى أبراج عاجية بعيداً عن مجتمعاتهم ، بل لابد لهم من الاتصال بهذه المجتمعات ، فليس هناك شاعر أو كاتب إلا وهو يحاول أن يخاطب أفراد مجتمعه بما يحسون ويشعرون. ويقول أصحاب هذا الاتجاه إن ذلك يتضح فى تاريخ الأدب العربى ، فهو فى العصر الجاهلى يمثل جماعته البدوية ، وفى العصر العباسى يمثل المجتمع المتحضر بكل ما كان فيه من مجون دائم وزندقة وزهد وتعاسة وبؤس .

وبعد أن نشر « فرويد » كتابه « تفسير الأحلام » سنة ١٨٩٩ م بدأ اتجاه **الدراسات النفسية** يتسلل إلى مناهج البحث الأدبية . ومن المعروف أن فرويد ينظر إلى الناس جميعاً على أنهم مرضى بعقد مكبوتة تضطرب وتموج فى اللاشعور ، ولكن الفنان والشاعر والأديب ـ فى رأى فرويد ـ هو الذى يتسامى على واقعة اللاشعورى بما ينتجه من أعمال فنية ، وهذه الأعمال إذا فحصناها ملياً وجدنا عليها بصمات المرض النفسى وأعراضه واضحة. وممن حاولوا أن ينحوا منحى « فرويد » ومدرسته فى نقد بعض ظواهر الأدب العربى المرحوم الدكتور محمد غنيمى هلال الذى كان أستاذاً للنقد الأدبى والأدب المقارن بجامعة القاهرة ، والذى حاول فى كتابه « الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية» أن يرد الشبهة التى أوجدها طه حسين فى كتابه « حديث الأربعاء» بقوله إن قيس بن الملوح مجنون بنى عامر ، أو مجنون ليلى ، لم يكن له وجود تاريخى ، وأن الأشعار التى تنسب إليه إنما قالها عدد من المحبّين شببوا بفتيات سموهن ليلى على سبيل الرمز ، وهروبا من التعريض بأسمائهن الحقيقية فى هذه الأشعار. ولقد حاول غنيمى هلال أن يرد هذه الشبهة مبينا أن الأشعار التى نسبت إلى قيس إنما تعبر عن تجربة حية تسامى فيها الشاعر على غرائزه، فجاء حبه عذريا متسامياً على متطلبات الحس .

استدارت مناهج البحث الأدبى دورة كاملة حول نفسها حين ظهر اتجاه قوى يدعو إلى عزل الأدب عن مقاييس العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والنفسية ، ويؤكد على أن البحث الأدبى يجب أن يعنى بالنصوص والآثار الأدبية فى ذاتها دون إقحام عوامل خارجية عليها من بحوث العلوم الطبعيية

والاجتماعية وغيرها فإن هذه البحوث إن أفادت فإن فائدتها عارضة ، فالمهم تحليل النص لغوياً ونحوياً وبلاغياً . ويوشك هؤلاء فى دعوتهم تلك أن يشبهوا عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه « دلائل الإعجاز » و« أسرار البلاغة » اللذين وضع فيهما نظريات المعانى والبيان العربى وسجّل فيهما نقده الحر الذى ينفذ من خلال تحليله للعلاقات النحوية فى التعبير إلى خفايا البلاغة وأسرارها .

ولقد دعا الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « البحث الأدبى » (طبع بمصر ١٣٩٢) إلى الإفادة من كل هذه المناهج والدراسات جميعا ، ودراسة الأديب وإنتاجه فى ضوء مناهج العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والدراسات النفسية وغيرها؛ فهو يقول فى كتابه المذكور ص ١٤٤ ـ ١٤٥ : « إن الباحث الأدبى الحديث ينبغى أن يستضىء فى عمله بكل المناهج والدراسات السابقة ، إذ لا يكفى منهج واحد ولا دراسة واحدة لكى ينهض بعمله على الوجه الأعلى ، بل لابد أن يستعين بها جميعاً . حتى يمكن أن يضطلع ببحث أدبى قيم » ، ويسمى شوقى ضيف منهجه هذا « المنهج التكاملى » .

الفصل الثانى

دراسة الأدب وتوثيق النصوص الأدبية

١ ـ دراسة الأدب

الباحث فى الأدب بخاصة لابد له أن يتمتع بشئ قد لا يهم توفره فى الباحثين فى مجالات أخرى غير الأدب ، ونعنى به القدرة على التذوق ، وهى ملكة تنشأ من طول الإكباب على قراءة الشعر وآثار الأدباء فى القديم والحديث، بحيث تصبح استجابة صاحبها لما يقرأ استجابة صادقة .

كذلك لابد للباحث من أن يعمد إلى تحليل الأثر الأدبى تحليلاً يوضح عناصر جماله وتأثيره فى النفوس . فالقصائد والأعمال الأدبية وشخصيات الأدباء والشعراء كل ذلك ينبغى أن يحلل إلى العناصر التى يتكون منها ، لتبين مواطن الجمال فيها. فشاعر كزهير يرد شعره فى الغالب إلى العناية بالتصوير ، والتصوير يمكن تحليله إلى الاعتماد على التفاصيل والزمان والمكان واللون واستخدام العبارات التى تجعلك وكأن تنظر إلى ما يريد الشاعر أن يصوره لك وتراه رأى العين. وشاعر كالمتنبى مثلا يمكننا تحليل مصادر روعته بتجسيده لمعانى العروبة وأحاسيسها ، ومعانى الفتوة والبطولة والاعتداد بالنفس ، والترفع عن الدنايا ، والإحساس المفرط بالكرامة .

ولا ينبغى التوقف عند تحليل الإنتاج الإدبى فقط بل ينبغى أن تُحلل شخصية الأديب وتُرد إلى عناصر البيئة العامة والخاصة، وغير ذلك مما يؤثر على الأديب من عوامل اجتماعية ونفسية وغيرها ، على نحو ما قدمنا عند حديثنا

عن تطور مناهج البحث الأدبى .

وأخيراً فإن البحث الأدبى ـ شأنه شأن سائر الأبحاث ـ يتعين عليه أن يُعرض عرضاً دقيقاً ، بحيث يكون مرتباً فى كل فصل من فصوله ، بل فى كل فقرة من فقراته ، وتكون له بداية واضحة ووسط واضح ونهاية واضحة .

وهذا بطبيعة الحال يستدعى من الباحث ألا يتعجل الكتابة فى الموضوع قبل أن يكون قد هضم المادة التى جمعها واستوعبها تماماً ، وإلا فإن بحثه يصبح مجرد معلومات يرص بعضها بجوار بعض ، وهى حينئذ لا تكون أبحاثاً بقدر ما تكون أكواماً متراكمة من المعارف .

٢ ـ التوثيق أو « الصنعة »

يقول ابن المعتز فى طبقاته : « إن العامة الحمقى قد لهجت بأن تنسب كل شعر فى المجون إلى أبى نواس ، وكذلك تصنع فى مجنون بنى عامر ، كل شعر فيه ذكر ليلى تنسبه إلى المجنون » ولذلك كان لابد من تحرى الدقة فى نسبة هذه الأشعار إلى قائليها ، ولا يتم ذلك إلا بناء على أسس علمية معينة تسمى بالتوثيق .

ولا شك أن علماء الشعر العربى القديم أفادوا كثيرا من القواعد التى وضعها المحدّثون للتثبت من صحة الحديث النبوى وحاولوا أن يطبقوا قواعد علم «الجرح والتعديل» على الشّعر ، وذلك لكى ينفوا عن هذا الشعر كل زيف ومنحول ، وقد عمد هؤلاء العلماء إلى رواة هذا الشعر فميزوا بين الثقاة منهم والمتهمين ، فلقد كان هناك متهمون ووضّاعون فى منتهى المهارة يضيفون إلى أشعار قدامى الشعراء شعرا ليس من نظمهم ، ولا يمكن للقارئ العادى أن

يميز بين الصحيح والمنحول فى هذا الشعر لمهارة هؤلاء الرواة ، وكان من بينهم حماد الراوية الذى يقول فيه أحد معاصريه : « قد سلّط على الشعر من حمّاد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقيل : وكيف ذلك ؟ أيخطئ فى روايته أم يُلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله فى شعره ويُحمل ذلك عنه فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ » .

ولقد عُنى القدماء عناية بالغة بتوثيق دواوين الشعر القديم ، وقد ألقوا على هذا العمل العلمى الدقيق اسم « صنعة » فيقال مثلا : هذا الديوان أو ذاك من صنعة ثعلب والأصمعى ، يعنى أنه راجع رواياته وقابل بينها مستخرجاً منها نسخة من الديوان موثّقة أحسن التوثيق ، مضبوطة أتم الضبط وأكمله .

وكما عُنى علماء الحديث برجال السَّنَد الذين أخذ عنهم أى من الأحاديث النبوية الشريفة عُنى القدماء من النقاد بالسّند الذى جاءت عن طريقه الأشعار .

وتتجلى تلك العناية فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الإصفهانى الذى يقرن مع كل شعر سنده من الرواة الذين حملوه جيلا بعد جيل ، وهو يستهل السند دائماً بكلمة « حدّثنا » أو« أخبرنا » ثم يذكر أسماء من حملوا الشعر أو الخبر.

ولا يُكتفى فى التوثيق بنقد السند واستبعاد الأشعار ذات السند الضعيف فحسب بل لابد أيضا من نقد النصوص والأخبار ذاتها نقدا يتفق مع الوقائع

والأحداث الصحيحة ومع أسلوب الشاعر . فقد زيف الإصبهانى كثيراً من الأشعار باعتبارها ليست من نمط الشاعر ولا من أسلوبه . فمن ذلك أنه ينقد قصيدة تنسب لامرئ القيس ويقول إنها لا تشاكل كلامه والتوليد فيها واضح.

وفيما يتعلق بالأخبار روى أبو الفرج خبرا لدحمان مع الخليفة هارون الرشيد ، ثم عاد فشك فيه ، فرجع إلى التاريخ لكى يستبين هل أدرك دحمان خلافة الرشيد ؟ وعندما انكشفت الحقيقة قال : « .. وأظنه غلطا لأن دحمان لم يدرك الخليفة الرشيد » .

ومخطوطات الدواوين الجاهلية والإسلامية يكثر فيها أن تنسب إلى رواة الكوفة أو إلى رواة البصرة ، وكان رواة البصرة يتشددون فى التوثيق جدا ، وكان فى مقدمتهم الأصمعى الذى يعد حجة ثقة فى الرواية ، ولقد رويت عنه ستة دواوين ، هى دواوين كل من امرىء القيس ، والنابغة ، وزهير، وطرفة ، وعنترة، وعلقمة بن عبدة .

ويتعين على الباحث ألا يعتمد ديوانا من الدواوين القديمة إلا إذا تأكد من صحة سنده وعدالة رواته ، أو وقعت فى يده نسخة مخطوطة بخط يد الشاعر نفسه ، مثلما ذكرنا فى دراستنا لموضوع المخطوطات .

ومما يوثّق النسخة الخطية ـ سواء أكانت ديوانا شعريا أم نصا نثرياً ـ ما يذكره ناسخها فى آخرها من تاريخ كتابتها وتاريخ النسخة التى أخذ عنها . وقد يكون هذا الناسخ أخذها عن نسخة المؤلف أو عن نسخة بعض تلاميذه أو عن نسخة رواة موثّقين يتصل سندهم بالمؤلف ، فإذا صح هذا تكون هذه المخطوطة ذات قيمة كبيرة .

الفصل الثالث

مصادر الدراسات الأدبية

يزخر الأدب العرب بطائفة من المصادر الرئيسية التى يتعين على طالب الدراسات الأدبية واللغوية أن يطلّع عليها ويستوعب مادتها ، وإلا شاب دراسته نقص كبير واعتورها قصور شديد لعدم استناد دراسته على تلك الأسس القويمة والقواعد السديدة التى يستخلصها المرء من طول إكبابه على مؤلفات السلف وكثرة معاشرته لمؤلفات من يشار إليهم بالبنان فى مجال الأدب الرفيع . فبهذه القراءة الواعية تتكون لدى الدارس ملكة النقد وحاسة الذوق ، وكلاهما ـ كما أسلفنا ـ ركيزة لا تنهض الدراسة الأدبية إلا بها .

من أجل ذلك نعرض فيما يلى ـ عرضاً سريعاً ـ لأهم هذه المصادر معرّفين تعريفاً يسيراً بمؤلفيها الأعلام :

أولاً : التأليف الأدبى الموسوعى

١ ـ الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥) :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر ، قيل له الجاحظ لأنه كان بعينيه جحوظ . ولقد انتفع بكل لحظة من لحظات عمره الطويل بالقراءة والاطلاع . فما كان يُرى إلا ومعه كتاب . وقد أُثر عنه أنه كان يستأجر دكاكين الورّاقين ـ أى محلات بيع الكتب ـ ويبيت فيها للنظر فيما حوته من العلم .

كان الجاحظ من علماء البصرة ، وكان قد تتلمذ على أعلام العلماء

كالأخفش فى اللغة والنظّام فى علم الكلام ، وكان له ولوع بالاستماع إلى أهل البادية يصحح عن طريقهم أخطاء النطق والكلام .

ويبلغ عدد مؤلفاته ثلاثمائة وستين كتاباً ، ولكن معظمها لم يصل إلينا . وما وصل إلينا يُفصح عن مدى عبقرية الجاحظ الأدبية واللغوية ، قال عنه المسعودى فى « مروج الذهب » وهو أحد خصومه: «وكُتب الجاحظ ... تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف ... وكان إذا تخوف ملل القارىء وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة» .

ومن أهم كتبه . البيان والتبيين ، كتاب الحيوان ، كتاب البخلاء. ونعرض فيما يلى عرضا سريعاً للكتابين الأولين :

أ ـ البيان والتبيين

لعله أحسن آثار الجاحظ الأدبية، وقد خلط فيه بين الجد والفكاهة، وتناول بالشرح والتفصيل القواعد التى يقوم عليها عدد من الفنون الأدبية كالخطابة ، والشعر ، والبلاغة ، والبيان ، والرسائل ، والمحاورات . ولكى يدفع الملل عن نفس القارىء أخذ يسوق بين الحين والحين بعض الفكاهات .

ب ـ كتاب الحيوان

لا يتحدث الجاحظ فى هذا الكتاب عن طبائع الحيوانات فحسب بل يذكر ما أُلّف حولها من أشعار وقصص وحكم وأمثال . ولذلك تجد الكتاب كبير الحجم إذا قورن بالبيان والتبيين ، لكنه لا يرقى إلى مستوى البيان والتبيين . وكما اعتمد الجاحظ فى كتابه هذا على الكتب التى اشتملت على أخبار

وأشعار عن الحيوان اعتمد أيضاً على طريقة الاستقراء فى الحصول على مزيد من المعلومات عن تلك الحيوانات، فكان يجالس الحواة ويناقشهم فى شئون الحيات والثعابين ، وإذا أراد أن يكتب عن الطيور ذهب إلى صائد العصافير وسأله وناقشه .

وقد طبع الكتاب طبعة ممتازة محققة فى سبعة أجزاء كبار .

٢ ـ ابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦)

إذا ذكر الجاحظ فى الأدب ذكر ابن قتيبة بعده وتلوا له . فقد عاصر ابن قتيبة الجاحظ فترة من الوقت لكنه لم يعمّر كما عمر الجاحظ وإنما مات وهو فى الثالثة والستين. ولد فى بغداد سنة ٢١٣ ولكنه سكن الكوفة وتوفى فى بغداد سنة ٢٧٦ على أرجح الأقوال . ولئن كان الجاحظ قد ألف ثلاثمائة وستين كتابا فقد ألف ابن قتيبة ثلاثمائة كتاب فى مختلف فنون الأدب ، ولكن لم يصلنا منها إلا ثلاثون كتابا طبع منها أربعة عشر ولا يزال الباقى مخطوطاً .

ومن أهم كتبه بالنسبة لدارس الأدب كتاب « أدب الكاتب » ، و« الشعر والشعراء » ، و « عيون الأخبار » ، و « المعارف » وكل هذه الكتب مطبوعة طبعات محققة ، وهى فى متناول الباحثين .

٣ ـ أبو العباس المبرّد (٢١٠ ـ ٢٨٦)

عالم جليل فى الأدب والأخبار واللغة والنحو . ولد فى البصرة وعاش فى بغداد إلى أن توفى بها سنة ٢٨٦ . وقد ارتبط اسمه بكتابه « الكامل » رغم أن عدد مؤلفاته يصل إلى أربعة وأربعين كتابا ، منها عدد لا بأس به فى النحو

والبلاغة ، ولذلك كان يسمى بشيخ أهل النحو . وكان معروفا بالفضل وحسن المحاضرة والأخبار المليحة والنوادر الطريفة .

وكتابه الكامل يشبه إلى حد كبير كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ، ويضم فى أجزائه الأربعة ألواناً من الثقافة الأدبية والتاريخية واللغوية . والمبرّد يُعرِّف بكتابه بقوله : «هذا الكتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة » .

٤ ـ ابن عبد ربه (٢٤٦ ـ ٣٢٨)

هو الأديب والشاعر الكبير أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى ، ولد فى قرطبة فى فترة من أكثر فترات الأندلس الإسلامية ازدهاراً وإقبالاً على العلم والدرس والتحصيل . وعاصر ثلاثة من كبار ملوك الأندلس وحظى بتقديرهم واحترامهم ونظم فى بعضهم مديحاً .

وقد اشتهر أحمد بن عبد ربه بالصلاح والتقوى والتحلى بالخُلُق والورع ، وكان إلى جانب ثقافته الواسعة شاعراً مُجيداً ، ولقد أعجب المتنبى بشعره إعجاباً كبيراً ، وكان يسميه « مليح الأندلس » .

وعُرف ابن عبد ربه بكتابه « العقد الفريد » وهو الكتاب الذى نال حظاً من الشهرة لم يشاركه فيها إلا كتاب الأغانى للإصبهانى . ولقد قضى ابن عبد ربه فى تأليف كتابه وجمعه وتنسيقه وتبويبه سنوات طوالا . والكتاب اسم على مسمى ، فهو كالعقد يتكون من جواهر وأحجار كريمة ، والعقد المتكامل عبارة عن خمس وعشرين حبة ثمينة ، لكل واحدة منها اسم فى اللغة والعرف ،

وأثمنها عادة الحبة الوسطى التى يكون عن يمينها اثنتا عشرة حبة وعن يسارها مثلها؛ فالكتاب يقع فى خمسة وعشرين جزءاً أعطى المؤلف لكل جزء اسم جوهرة من جواهر العقد. جمع فيه الأقوال المأثورة فى مختلف الفنون الأدبية من شعر ونثر وخطابة وتاريخ وحِكَم وأمثال، كما خصص المؤلف أجزاء مستقلة للأخلاق ، والألحان ، والفكاهة وغيرها . وهكذا يبدو « العقد الفريد » وكأنه موسوعة ثقافية عربية كبيرة .

٥ ـ أبو الفرج الإصبهانى (٢٨٤ ـ ٣٥٦)

اسمه على بن الحسين بن محمد المروانى الأموى ، وهو من نسل مروان ابن محمد آخر ملوك بنى أمية ، وكان شيعيا متحمساً ، أدى به تشيعه إلى تأليف كتاب حول ما تعرض له أبناء وأحفاد على بن أبى طالب (رضى الله عنه) من تقتيل وتعسف وتشريد ، وهو كتاب « مقاتل الطالبيين » .

كان أبو الفرج ـ رغم ما عرف عن قذارة ثيابه ـ نديما للوزراء الكبار فى دولة بنى العباس ، فقد كان فضله وعلمه يشفع له عند ندمائه بل عند ملوك زمانه الذين كان يحظى بعطفهم ورعايتهم . فعكف على التأليف والتصنيف ، وترك عددا لا بأس به من الكتب تبلغ فى عِدَّتها خمسة وعشرون كتابا بالإضافة إلى كتابه الكبير « الأغانى » .

ويقال إنه ألف « الأغانى » فى خمسين سنة ، لكن هذه السنوات الخمسين لم تكن كلها فى تأليف الكتاب وحده ، وإنما كانت جمعا لمادته وتنسيقاً لموضوعاته فى فترات متقاربة حينا ، متباعدة أحياناً .

ولا شك أن كتاب الأغانى يعد أوسع كتب الأدب العربى شهرة وأوفرها

حظا وأكثرها تداولا على الألسنة ، لضخامته من حيث الحجم ، ونفاسته من حيث المحتوى . ولقد حظى الكتاب منذ أن انتهى أبو الفرج من تأليفه باهتمام واسع وتقدير كبير بين معاصريه ، يقول الصاحب بن عباد عن « الأغانى » : «لقد اشتملت خزائنى على مائتى ألف وستة آلاف كتاب ، ما منها ما هو سميرى غيره ، ولا راقنى منها سواه » .

والكتاب مزيج من الموسيقى والأدب ، فمن خلال الموسيقى جمع الأصوات المائة التى اختارها المغنّون للرشيد .

ومن خلال الأدب ذكر أبو الفرج النصوص الشعرية التى تم تلحينها ، ونسبها إلى قائلها من الشعراء وأخباره وأشعاره وبيئته وثقافته وصلاته بالناس وصورة عصره ووَصْفِ مجتمعِه ، وما إلى ذلك من أخبار اتبع فيها طريقة الاستقصاء لكى يضع كل الحقائق والأخبار التى وصلت إليه عن الشعراء أمام قارئه. وأبو الفرج يدعم روايته بالإسناد ، وإذا تعددت الروايات أثبتها على اختلافها .

وينقسم الكتاب إلى عشرين جزءا تنتشر فيها أخبار العرب وأيامهم وأنسابهم ومفاخرهم وحياتهم الاجتماعية فى عصور مختلفة وأماكن متباينة، هذا فضلا عما يشتمل عليه الكتاب من الصور الأدبية كالشعر والكتابة والخطابة والقصص والنوادر .

٦ ـ مؤلفو الموسوعات فى العصور المتأخرة

(أ) النويرى (٦٦٧ ـ ٧٣٣)

هو أحمد بن عبد الوهاب القرشى المصرى ، وله كتابه الكبير المعروف « نهاية الأَرَبْ فى فُنونِ الأَدَبْ » المشتمل على العديد من الموضوعات العلمية

والأدبية والتاريخية ويقع الكتاب فى ثلاثة وثلاثين جزءاً طبع منها ثلاثون جزءاً حتى الآن .

(ب) القلقشندى (٧٥٦ ـ ٨٢١)

وهو صاحب كتاب « صُبح الأعشى فى كتابة الإنشا » .

(جـ) ابن منظور (٦٣٣ ـ ٧١١)

صاحب أكبر وأغنى قاموس عرفته اللغة العربية وهو « لسان العرب »، ويضم القاموس ثمانين ألف مادة ضمها عشرون مجلداً .

ثانياً : كتب الأمالى

وهى الكتب التى اتبع أصحابها فى تأليفها طريقة إملاء الموضوعات التى يريدون تأليفها على تلاميذهم ، وهذا النوع من الكتب عرف أيضاً باسم « المجالس » . فقد كان الطلاب يجلسون متحلقين حول أستاذهم وأمامهم المحابر وبأيديهم الدفاتر ، يحسنون الاستماع ويقيّدون ما يجرى على لسان أستاذهم، فإذا انتهى إملاء المجموعة جُمعت لإصدارها فى شكل كتاب ، ولكنها قبل إصدارها تُعرض على الأستاذ نفسه لمراجعتها ، أو يعهد الأستاذ لبعض تلامذته النابهين بمراجعتها وروايتها منسوبة إليه .

ولا تقتصر هذه الكتب على الأدب فحسب ، بل تمتد إلى موضوعات أخرى كالحديث والتفسير والنحو وغيره .

ومن أهم كتب الأمالى فى الأدب :

١ ـ مجالس ثعلب : للعالم النحوى والأديب البارع أبى العباس ثعلب (٢٠٠ ـ ٢٩١) .

٢ ـ الأمالي للقالي : ويعد الكتاب أشهر كتب الأمالى على الإطلاق ، وصاحبه أبو على القالى ، وهو أندلسى ، وكان موضع الإجلال والتقدير بين الحكام والعلماء وعامة الناس ، وكان شاعراً ، وقد ولد سنة ٢٨٨ .

٣ ـ الإمتاع والمؤانسة : لأبى حيان التوحيدى : والتوحيدى الذى ولد سنة ٤٠٠ يعد من أكبر مفكرى العربية وأدبائها ، حتى أطلق عليه اسم فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة .

وله عديد من الكتب والمصنّفات ، ولكن أشهرها هو الإمتاع والمؤانسة ، وهو تسجيل لأحاديث وأمال ومحاضرات ألقيت فى أربعين ليلة على مسامع ابن سعدان وزير صمصام الدولة البويهى فى بغداد . وكانت الندوة تضم عدداً من مشاهير الأدباء والشعراء والرياضيين ، وتطرّق أبو حيان فى أحاديثه لمختلف الموضوعات ، وكان يتناول فى كل ليلة فى الغالب موضوعا من الموضوعات يشبعه بحثا. ويشبّه الأستاذ أحمد أمين ـ محقق الكتاب ـ الإمتاع والمؤانسة بألف ليلة وليلة ، ولكنها ـ كما يقول ـ ليست ليالى للهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام ، إنما هى ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء .

ثالثاً : طبقات الشعراء

١ ـ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى

ولد محمد بن سلام الجمحى على أرجح الأقوال فى سنة ١٤٠ ومات سنة ٢٢٢ ؛ وهو يقسم كتابه قسمين : قسم جاهلى وآخر إسلامى، وجعل كل قسم منهما على طبقات متتابعة وفقا لذوقه الفنى هو وتبعاً لمعاييره الخاصة .

٢ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة

تحدثنا عن ابن قتيبة فى قسم « التأليف الأدبى الموسوعى »، ومن بين أهم كتبه كتاب الشعر والشعراء ، قدم فيه مائتين واثنين من الشعراء مرتبين ترتيباً زمنياً ، فهو يبدأ بامرئ القيس وينتهى بعلى بن جبلة المتوفى سنة ٢١٣ هـ .

٣ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز

ألفه الخليفة الأديب البارع والشاعر المبدع عبد الله بن الخليفة المعتز بالله (٢٤٧ ـ ٢٩٦) الذى ولى خلافة بنى العباس ليوم واحد ثم قُتل . وله نحو اثنا عشر كتاباً فى الأدب والشعر ومختلف الفنون. ويقتصر ابن المعتز فى كتابه على دراسة الشعراء الذين مدحوا بنى العباس واتصلوا بهم . وهو يعتمد على ذوقه وحسه المرهف فى دراسته لهؤلاء الشعراء .

رابعاً : كتب التراجم

ومن أهم هذه الكتب :

معجم الأدباء لياقوت الحموى

يعد من أنفع كتب التراجم الأدبية على الإطلاق ، فهو متخصص فى تراجم الأدباء عامة وذوى التآليف منهم خاصة . ومؤلفه هو ياقوت الحموى أو الرومى (توفى سنة ٦٢٦)، وقد كان ياقوت فى بدء أمره عبداً ، ثم نال حريته. وكان يدون مذكراته فى رحلاته التى شملت كثيراً من أقطار العالم الإسلامى، تلك المذكرات التى جمع منها كتابه الرائع « معجم البلدان » .

أما معجم الأدباء فقد ترجم فيه لأدباء العربية وأصحاب التواليف فيها

حسب حروف المعجم . ولقد أتبع ياقوت مقدمة كتابه بدراسة طريفة فى فصلين: الأول فى فضل الأدب وأهله وذمّ الجهل، والثانى فى فضيلة علم الأخبار وأهمية التراجم. ويبلغ عدد تراجم الأدباء فى الكتاب ١٠٦٥ ترجمة لأعلام الآداب والمعارف فى سائر أرجاء العالم الإسلامى منذ القرن الأول الهجرى حتى زمان المؤلف .

وعلى كل فالكتاب من الشهرة والقيمة بحيث لا يستغنى عنه الباحثون وطلاب العلم والأدباء .

الباب السابع

التاريخ الإسلامى : دراسته ومصادره

يشتمل هذا الباب على دراسة تمهيدية موجزة لطرق البحث فى التاريخ الإسلامى ، وعرض مختصر لمصادره . وينقسم هذا الباب إلى الفصول الثلاثة التالية :

الفصل الأول : علم التاريخ عند المسلمين : نشأته وتطوره ، ومناهجه .

الفصل الثانى : مادة البحث التاريخى .

الفصل الثالث : مصادر الدراسات التاريخية .

الفصل الأول

علم التاريخ عند العرب

نشأته وتطوره ، ومناهجه

بداية التدوين التاريخى

يكتنف الغموض بدايات التدوين التاريخى عند العرب ، تلك البدايات التى تكونت فى القرنين الأول والثانى للهجرة . ويرجع هذا الغموض إلى الشكوك التى حاول المستشرقون المغرضون إثارتها حول مسألة التدوين فى سائر العلوم وخاصة فى الحديث النبوى والسيرة النبوية التى تعد جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامى .

فمنذ أكثر من قرن من الزمان بدأ هؤلاء المستشرقون فى محاولة توجيه البحث العلمى توجيها يؤدى إلى نتيجة خاطئة تماماً ، وهى النتيجة القائلة بأن « الرواية » لم تكن إلا شفوية ، وأن الرواة والمؤرخين كانوا ينقلون ما رووه فى كتب الحديث والتاريخ والسيرة من أفواه الرجال ولم يكونوا يعتمدون فى نقل رواياتهم على الكتب .

ورغم أن بعض هؤلاء المستشرقين لاحظ بحق أن الطبرى استمد مادته التى استعان بها فى تأليف كتبه من كتب ألفها سابقون من علماء المسلمين الموثوق بأقوالهم ، فإن البعض الآخر ـ مثل المستشرق اليهودى « جولد تسيهير » ـ يرى أن المؤلفين فى عصر الطبرى ، وخاصة مؤلفى المجموعات الفقهية ـ لم ينقلوا

مادتهم من مصادر مدوّنة ، بل اعتمدوا على المصادر الشفوية ، أو الرواية الشفوية التى تنقل الأخبار والأحاديث من جيل إلى جيل ، الأمر الذى يؤدّى إلى ضياع الحقيقة وسط أعمال التحريف المستمرة فى هذه الأخبار .

والواقع أن هذا الخلط والتشويش المتعمد من جانب بعض المستشرقين المغرضين كان الهدف منه هو فقدان الثقة فى التراث الإسلامى من أساسه ، وإثارة البلبلة بين المسلمين أنفسهم ، وبذر بذور الشك فى نفوسهم حول قيمة تراثهم الأصيل .

ولقد نجح الأستاذ « فؤاد سزكين » العالم التركى الأستاذ بجامعة فرانكفورت بألمانيا ، فى أن يبرهن فى كتابه القيم « تاريخ التراث العربى » ـ بطريقة حاسمة لا تدع للشك مجالا ـ أن التدوين فى القرون الإسلامية الأولى إنما اعتمد على مصادر مكتوبة تعود بدورها إلى مصادر أقدم منها ، وأن الأسماء الواردة فى الأسانيد تعطى ـ فى مجموعها ـ أسماء مؤلفين ورواة على درجة عالية من الدقة والثقة .

فنحن نعرف أن أقدم المصادر التى وصلت إلينا تقدم لنا مادتها مصحوبة بأسانيدها ، كأن يقول : حدثنى فلان عن فلان ، وبعد ذكر السند يقدم لنا المؤلف المادة العلمية التى نقلها لنا عن طريق هذا السند .

وكان معظم المؤلفين يأخذون الأخبار عن الحديث الواحد من جملة مصادر، كما هو شأن الطبرى والواقدى فى كتابه المغازى وغيرهما ، وكانت هذه المصادر عبارة عن كتب ووثائق دونها أصحابها لكى يرجعوا إليها كلما شاءوا .

٢ ـ تطور الكتابة التاريخية وتبلورها

يبدو مما لدينا من مصادر فى الوقت الحاضر أن التأليف التاريخى فى القرنين الأولين للهجرة بدأ نتيجة لاهتمام المسلمين بأخبار العرب وأحوالهم قبل الإسلام ، فقد وصل إلينا كتابان من القرن الأول الهجرى يتناولان تاريخ عرب الجنوب من الحِميَريين . الكتاب الأول « أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » تأليف عبيد بن شرية الجرهمى ، والثانى « كتاب الملوك » لوهب ابن منبّه المتوفى سنة ١١٠هـ .

وإلى جانب ذلك الاهتمام بأخبار العرب قبل الإسلام كان هناك اهتمام أيضاً بالأنساب ، فعُرف علماء هذا النوع من الكتابة التاريخية بعلماء العرب ، وكان منهم عقيل بن أبى طالب . وقد ذكر الجاحظ [١] أسماء عدد من هؤلاء العلماء ألفوا كتبا فى الأنساب ، عاش معظمهم قبيل الإسلام أو وقت ظهوره، وكان بعض هؤلاء العلماء على دراية واسعة بالشعر الجاهلى واللغة العربية .

وكان بعض الصحابة مشهورين بمعرفتهم للأنساب والتاريخ كأبى بكر الصدّيق [٢] ، وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما[٣] ، وفى العصر الأموى شاع الاشتغال بالأنساب والتاريخ القديم ، كما شاع ضرب جديد من ضروب التأليف التاريخى وهو التأليف فى « الأخبار »، وهى المعلومات التاريخية الضرورية لفهم أشعار العرب ككتاب « سيرة تُبّع وأشعارها » للشاعر يزيد بن زياد بن مفرغ (المتوفى ٦٩ هـ) [٤] .

(١) انظر كتاب الحيوان ، جـ ٣ ص ٢٠٩ ـ ٢٢٠ طبع مصر .

(٢) انظر ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة، جـ ١ ص ٤٦١ جـ ٢ ص ٨٣٠ .

(٣) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، طبع بيروت ، ٢ ، س ٧٨ .

(٤) انظر : أبو الفرج الإصفهانى : الأغانى ، جـ ١٧ ، ص ٥٢ .

وقبل أن يذكر الكاتب هذه الأخبار كان ينسبها إلى سلسلة من الإسناد فيقول عن فلان عن فلان ... الخ ، ويرى الأستاذ سزكين أن هذه الأخبار التى تسبقها سلاسل إسناد هى فى الواقع بقايا من كتب كتبها السابقون [١] .

ثم راج نوع آخر من أنواع التأليف فى العصر الإسلامى هو « كتب المغازى ». ولم يكن موضوع هذه الكتب غزوات الرسول ﷺ فحسب بل تتضمن تسجيلاً لحياته ﷺ ، ولقد سميت هذه الكتب فيما بعد باسم «السيرة» . ولقد اعتمد الواقدى فى كتابه « المغازى » والطبرى فى تاريخه على كتب كتبها بعض الصحابة فى هذا الضرب من ضروب التأليف التاريخى . ويشير ابن حجر العسقلانى فى كتابه « الإصابة » إلى أن بعض الصحابة قد اعتادوا أن يسجلوا ذكرياتهم المهمة عن الرسول فى كتب أو فى رسائل صغيرة، وأن هذه الكتب كانت شائعة ومتداولة فى عصر متأخرى الصحابة والتابعين .

وهناك ما يدل على أن ابن إسحاق فى كتابه « المغازى » قد استخدم حول غزوة الخندق كتبا لمؤلفين عدة ، لا يقل عددهم عن سبعة ، كلهم كتبوا فى المغازى ومعظهم من الصحابة والتابعين .

وهؤلاء المؤلفون لم يشتغلوا بالمغازى فحسب ، بل اهتموا كذلك بالكتابة فى تاريخ بدء الخليقة (أو ما يسمى بالمبتدأ) وبتسجيل الفتوح الإسلامية وانطلاقتها خارج شبه الجزيرة العربية . ومن هذا التسجيل نشأ نوع آخر من أنواع الكتابة التاريخية وراج فى العصر الأموى ، وهو ما سمى بـ « كتب الفتوح » .

---

(١) انظر فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربى ، الجزء الأول ، الترجمة العربية لمحمود حجازى ، وفهمى أبو الفضل ، طبع القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ٤٠٩ .

ويبدو أن الترتيب الزمنى كان شائعاً فى الكتابة التاريخية بل فى سائر أنواع التأليف منذ أن جعل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الهجرة بداية التقويم، فقد اتضح أن بعض الصحابة كانوا يدونون ذكرياتهم على نسق تاريخى. وأقدم البرديات العربية ـ وهى الموجودة فى ڤينا ـ مثل البردية المدونة سنة ٢٢ هـ تثبت لنا أن التاريخ الهجرى كان يستخدم فى الكتابة فى ذلك الوقت .

وقد التزم معظم المؤرخين المسلمين بعد ذلك باستخدام هذا التاريخ فى ترتيبهم الزمنى للأحداث ، كأن يقول المؤرخ مثلا « حوادث السنة الأولى من الهجرة » ويسرد تحت هذا العنوان الحوادث التى وقعت فى تلك السنة ، وهكذا.

كانت هذه الأعمال التاريخية المبكرة هى التى مهدت بعد ذلك لظهور الموسوعات التاريخية الضخمة التى يفاخر بها التاريخ الإسلامى ، وهى الموسوعات التى حملت نفس الملامح وتبنت نفس الاتجاهات التى كانت سائدة فى كتابات المؤرخين الأوائل ، كما سنرى عند حديثنا عن مصادر الدراسات التاريخية .

٣ ـ التاريخ الإسلامى ومنهج المؤرخين المسلمين

يزخر التراث الإسلامى بجملة ممتازة ومتنوعة من المصادر والموسوعات التاريخية قلما نجد لها نظيراً فى تراث أمة أخرى ، ويجد الباحث فى التاريخ الإسلامى نفسه أمام مجموعة هائلة من الكتب الموسوعية يستطيع أن يفيد منها جميعاً .

وهناك سمات منهجية تكاد تكون مشتركة بين مؤلفى هذه المصادر . فقد كان هؤلاء المؤرخون يؤلفون حبا فى التاريخ وشغفا به ، ولم يكونوا يؤلفون تبعاً لأمر الحكام ، فلم يكن هؤلاء مؤرخين رسميين متصلين بالخلفاء والأمراء إلا فى حالات نادرة ، ولذلك أتيحت الفرصة لهؤلاء المؤرخين أن يكتبوا آراءهم فى حرية كاملة دون ضغط من القائمين بالحكم .

ولم يكن المؤرخون يتكسبون من التأليف فى التاريخ ، فقد عرف عن معظمهم أنهم كانوا أغنياء ، وكان منهم من احترف التعليم أو التجارة . وكان الخلفاء والحكام يطلبون إلى الأدباء والفقهاء أن يؤلفوا فى موضوعات معينة، مثلما طلب هارون الرشيد من أبى يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة أن يؤلف كتاباً فى كيفية جباية الأموال ، فألف كتابه « الخراج ». ويبدو أن أولى الأمر لم يفعلوا ذلك مع المؤرخين من العرب خاصة[1] . ولذلك لم تتأثر كتاباتهم باتجاهات الحكام ، حتى ولو كانوا على صلة بهم ، وحسبنا أن تذكر مثلا «مَسْكَوَيْه » الذى كان كاتباً لأحد كبار حكام الدولة البويهية ، إذ نجده يعرض فى كتابه « تجارب الأمم » لتأسيس دولة بنى بويه دون أن يخفى جرائم مؤسسيها.

على أن معظم هؤلاء المؤرخين كانوا يميلون إلى ذكر الأساطير العجيبة والخرافات والأشياء الخارقة للعادة ، وينسبون كل ما هو قوى أو عظيم خارق

(١) أما المؤرخون الفرس ، فكان الملوك والسلاطين يطلبون إلى بعضهم تأليف التواريخ ويضعون تحت أيديهم الوثائق الرسمية للاستعانة بها فى كتابة هذه التواريخ ، مثلما حدث عندما أمر السلطان المغولى محمود غازان وزيره رشيد الدين فضل الله أن يؤلف فى تاريخ المغول فألف كتابه الكبير « جامع التواريخ» باللغة الفارسية.

للعادة إلى الجن كما كانوا يبالغون فى الإحصاءات المختلفة الخاصة بالجند أو الأموال أو العمال وغير ذلك . وكانت هذه المبالغة تبدو واضحة كل الوضوح حين يتحدث هؤلاء المؤرخون عن العصر الجاهلى ، مثلما نرى فى كتاب «تاريخ الطبرى » و « مروج الذهب » للمسعودى .

ولم يكن المؤرخ يجد حرجاً فى النقل من مصادر سابقة عليه أو معاصرة له. وفى معظم الأحيان كان المؤرخ يذكر المصدر الذى ينقل عنه وأحياناً أخرى لا يذكره .

كما كان معظم المؤرخين يوردون عدة روايات تاريخية متناقضة دون التعرض لنقدها أو ترجيح بعضها على بعض . هذا إلى جانب الاستطراد الذى يبعد القارىء عن الموضوع الأساسى ويدخله فى متاهات للكلام على موضوعات جانبية . ولا شك أن هذه كانت أموراً عادية فى حينها ، لأن مناهج البحث العلمى فى التاريخ وطريقة كتابة الموضوعات التاريخية على أسس منهجية لم تعرف إلا منذ نحو عهد ليس ببعيد .

ومن الملاحظ أن هؤلاء المؤرخين نادراً ما كانوا يعنون بدراسة المجتمع ، وسير الإدارة الحكومية ، والنواحى الاقتصادية والزراعية والصناعية التى نستطيع منها أن نتبين أحوال الشعوب الإسلامية ، ويبدو أن معظم المؤرخين كانوا يظنون أن مثل هذه الدراسات ليست من وظيفة المؤرخ ، أو من مهام التأريخ .

لكن ابن خلدون خرج على هذه القاعدة ، واتجه فى دراسته للتاريخ وجهة تحليلية نقدية ، واهتم بدراسة المجتمعات وتكوينها ونظمها وتطورها، وعمد إلى استخراج قوانين عامة للمجتمعات الإنسانية ... كل ذلك فى مقدمته المعروفة التى جعلها تمهيدا لتاريخ « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، كما سنرى فيما بعد.

الفصل الثانى

مادة البحث التاريخى

مادة البحث التاريخى هى عُدَّة الباحث فى البحث ، لا يستطيع بغيرها أن ينهض بكتابة بحث مكتمل الأركان . وتنقسم هذه المادة إلى :

١ ـ الكتب والمخطوطات

سبق لنا الحديث عن المخطوطات وقيمتها الكبيرة فى الأبحاث التاريخية ، والواقع أن المخطوطات ما هى إلا كتب لم تُطبع بعد ، ولكن قد تكون بعض هذه المخطوطات بالنسبة لبحث من الأبحاث أكبر قيمة من الكتب المطبوعة المتداولة بين أيدى الناس ، فقد يكون مؤلف المخطوطة قد شاهد بنفسه فترة من فترات التاريخ وتحدث عنها ، ووصفها ، وهنا يكون وصفه فى غاية الأهمية والقيمة ، وخاصة إذا كان المؤلّف متصفاً بالأمانة والإحاطة . وهذا لا يمنع أن تكون الكتب المطبوعة بها نفس الميزة وأن يكون مؤلفوها قد شاهدوا بأعينهم أحداثا مهمة فى التاريخ وصفوها فى كتبهم ، فتكون لمشاهدتهم نفس القيمة التى تكمن فى مثل تلك المخطوطة .

ولكن على الباحث فى التاريخ أن يضع فى اعتباره أن كتب التاريخ الإسلامى التى كتبت فى الفترة ما بين القرنين الثالث والتاسع لا تتساوى فى قيمتها كمصادر للبحث الذى يقوم بإعداده، فهناك كتب شاهد مؤلفوها الأحداث أو عاصروها أو كانت هذه الأحداث قريبة العهد من عصرهم . ولا

شك أن مثل هذه الكتب تعد مصادر أصيلة يمكن الاعتماد عليها ، ومن هذه الكتب مثلا كتاب « أخبار الراضى بالله والمتقى بالله » أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ هـ الذى ألفه أبو بكر الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ . وكذلك كتاب « المحاسن اليوسفية » الذى ألفه عن صلاح الدين الأيوبى كاتبه : ابن شدّاد . وكتاب « سيرة جلال الدين منكبرتى » الذى وضعه : النّسوى ، كاتبه وتابعه الأمين .

ومن هذا يتضح أنه لا يحق للطالب أن يعتمد على كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى (المتوفى ٩١١ هـ) فى موضوعات ذكرت فى كتاب الطبرى (المتوفى ٣١٠ هـ) أو ابن الأثير (المتوفى ٦٣٠ هـ) أو غيرهم من المعاصرين للخلفاء ، اللهم إلا إذا كان للسيوطى رأى ذو قيمة فى الموضوع لم يشر إليه أحد ممن سبقوه .

وكما يلاحظ الزمان يلاحظ المكان ، فيجدر بالطالب الذى يكتب عن تاريخ المملكة العربية السعودية أن يعتمد ـ كلما أمكن ـ على مؤرخ سعودى كتب عن هذه الفترة ، فذلك أفضل من اعتماده على مؤرخ من قطر آخر ؛ بناء على الأصل الذى وضعه المؤرخون المسلمون أنفسهم وقالوا فيه : « صاحب البيت أدرى بما فيه » ، فلا شك أن المؤرخ الذى يكتب عن بلاده أقدر وأوثق من غيره فى وصف أحداث تلك البلاد .

كما ينبغى على الطالب أن يراعى مدى ما يتمتع به المؤلف من نزاهة وما يشتهر به من دقة ، ولذلك لابد أن يعرف الطالب فكرة عن المؤلفين الذين ألفوا فى موضوعه ، وعن ميولهم المذهبية والسياسية والاقتصادية ، ومدى اطلاعهم

على بواطن الأمور ، وعن أخلاقهم وخصالهم ، وكل ما يؤثّر فيما يكتبون ، وعندئذ عليه أن يختار من هؤلاء المؤلفين أصدقهم وأوثقهم ، وأكثرهم خبرة بالوقائع ، فيرجع إلى ما كتب ، وأن يقرأ بكثير من الحيطة والتحفظ لأولئك الذين يشك فى حيدتهم ونزاهتهم .

على أن طالب التاريخ سيحتاج فى بحثه حتما إلى الرجوع إلى مصادر قد يبدو أنها لا تمت إلى التاريخ بصلة ، كالمصادر اللغوية مثلا . فلابد له من الرجوع إلى مثل هذه المصادر كالقواميس إذا اعترضته كلمة صعبة فى نص من النصوص، أو أراد أن يحقق المعنى اللغوى لمصطلح من المصطلحات، كالإمامة أو الوزارة مثلا . كذلك لابد له من الرجوع إلى كتب الحديث إذا عرض له حديث عن النبى ﷺ حتى يؤكد مدى صحته ، فالباحث لا يقتصر إذن على المصادر التاريخية بل ينتقل منها إلى مصادر أخرى كلما احتاج بحثه إلى ذلك.

غير أن المصادر الجغرافية هى أقرب المصادر إلى التاريخ الإسلامى من ناحية احتياج الطالب إليها ، وذلك نظراً لأن الكتابة التاريخية ارتبطت عند المسلمين منذ البداية بعلم الجغرافية ، وربما كان من أهم الأسباب التى أدت إلى هذا الربط بين العلمين معرفة البلاد التى فتحها العرب أيام الخلفاء الراشدين والأمويين لتنظيم الجزية والخراج ولتحقيق الوحدة بين أقطار الأمة الإسلامية. لذلك فقد جرت العادة أن يتعرف طالب التاريخ الإسلامى على عدد من المصادر الجغرافية التى لا يمكن الاستغناء عنها فى دراسته .

وهناك فن من الفنون اخترعه المؤرخون المسلمون ، لم يسبقهم إليه أحد ، وهو « فن أسماء الرجال » أو « كتب التراجم » ، وهو فن من الفنون الملحقة

بعلم التاريخ ، والواقع أن هذا الفن يعد من مفاخر هذه الأمة التى لا يشاركها فيها أمة من الأمم ، قال « اسبرنجر » فى مقدمته الإنجليزية لكتاب « الإصابة فى أحوال الصحابة » لابن حجر العسقلانى ما ترجمته : « لم تعرف أمة فى التاريخ، ولا توجد الآن على ظهر الأرض ، وفقت لاختراع فى مثل فن أسماء الرجال الذى نستطيع بفضله أن نقف على ترجمة خمسمائة ألف (نصف مليون) من الرجال»[1] .

ويبدو أن المؤرخين قد قاموا بهذا العمل الجليل الضخم استجابة للأثر النبوى الشريف، فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال « من ورّخ مؤمنا فكأنما أحياه » .

وتضاف مصادر هذا الفن إلى المصادر التى يتعين على طالب التاريخ أن يتعرف عليها ، وسنشير إلى بعضها فيما بعد .

٢ ـ الوثائق الرسمية ومذكرات الساسة

أما الوثائق فتعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامى . وترجع أهميتها إلى أنها تحتوى على مادة حية غير قابلة للتغيير ، ويقصد بها :

الأوراق الرسمية فى الدول الإسلامية كالرسائل ، ومنشورات الإقطاع وسجلات العطاء ، والأحكام ، والمعاهدات ، وتقاليد الولاة والموظفين ، وما إلى ذلك .

وكانت هذه الأوراق الرسمية تصدر عادة عن « الدواوين » وبخاصة عن « ديوان الإنشاء والمكاتبات » الذى كان يقوم بتنفيذ أوامر السلطة العليا .ورغم أهمية هذه الوثائق فى كتابه التاريخ فإننا لم نعثر على معظمها .

(١) مقدمة اسبرنجر لكتاب الإصابة ، طبع كلكته ١٨٥٣ ، ١٨٦٤ م ، وانظر أيضاً : أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، طبع الكويت ١٣٩٤ هـ، ص ١٠٤ .

ومهما يكن السبب الذى أدى إلى ضياع هذه الوثائق فإن على الدارسين فى مجال التاريخ الإسلامى ألا يترددوا فى البحث عنها ، وجمع ما يوجد عنها فى كتب المتأخرين ، ونشرها بأقصى سرعة.

أما مذكرات الساسة والحكام التى ينشرونها فى حياتهم أو التى يوصون بنشرها بعد موتهم فتتضمن أيضاً معلومات فى غاية القيمة عما يجرى فى الخفاء مما يعرفونه هم ولا يعرفه سواهم .

ولم يهتم المسلمون بجمع الوثائق إلا منذ عهد الدولة العثمانية، لذلك نجد الفترة السابقة على العثمانيين تكاد تكون خالية من الوثائق التى يمكن للباحث أن يستخلص منها حقائق تاريخية ذات قيمة .

٣ ـ النقوش الأثرية

وهى من المواد المهمة خاصة فى الفترات التاريخية السابقة على العصر الحديث ، ومنها : الكتابات على المبانى؛ فقد كثرت هذه الكتابات فى العصور الفاطمية والمملوكية والعثمانية ، وكانت سبباً فى تصحيح بعض الأخطاء الشائعة بين الباحثين . والكتابات على شواهد القبور تفيد الباحث أيضاً فى جمع معلوماته وتصحيح ما عنده منها ، ولعل حرمة الأموات سمحت لكثير من هذه الشواهد أن تبقى شواهد تاريخية صحيحة لا تقبل التبديل والتغيير .

وهناك أيضاً أوراق البردى ؛ وهى وسيلة للكتابة انتشرت وازدهرت فى العصور السابقة على استخدام الورق بصورته المعروفة حالياً ، وكانت مصر أوسع مكان لانتشارها ، وقد تضمنت هذه الأوراق معلومات وافية عن التاريخ الإسلامى وخاصة فى عصر الخلفاء العباسيين . والمتاحف والمكتبات الأوربية

مملوءة بمجموعات البردى العربية البالغة الأهمية والتى مازالت تحتاج إلى دراسات وافية لتكشف عن جوانب مهمة فى القرون الأولى الإسلامية . ومن أهم هذه المكتبات مكتبة ڤينا ، ومكتبة جامعة « هايدلبرج » بألمانيا الغربية .

ومما يهتم به الباحثون فى هذا الباب أيضاً الأوانى القديمة التى تحمل نقوشاً وكتابات تفيد الباحث فى الوصول إلى حقائق تاريخية قيّمة . كما تعد النقود أو « السّكة » من بين المواد التى يستعين بها الباحث فى دراسته . فقد أدرك الباحثون المحدثون أهمية النقود القديمة فى التعرف على الحقائق التاريخية [1]، وذلك لأن الكتابات المنقوشة على هذه النقود تشتمل على ألقاب الملوك والحكام، وعلى تاريخ الضّرب ، وبعض عبارات تبين تبعية الولاة للخلافة أو استقلالهم عنها ، كما تبين مذهبهم الدينى . وهكذا تعد هذه النقود بمثابة وثائق صحيحة رسمية لا يمكن الشك فيما فيها من معلومات. ولقد اهتمت المتاحف الأوربية خاصة بجمع النقود الإسلامية القديمة ، وتكاد هذه المتاحف تضم نقودا من معظم الدول الإسلامية السابقة، كما يحتفظ المتحف الإسلامى بالقاهرة بمجموعة قيّمة من النقود ترجع إلى مختلف عصور التاريخ الإسلامى .

---

(١) ربما كان ابن خلدون أول من اهتدى إلى قيمة السكة من الناحية التاريخية . انظر : مقدمة ابن خلدون : فصل « فى شارات الملك والسلطان الخاصة » .

الفصل الثالث

مصادر الدراسات التاريخية

كان كُتّاب السيرة النبوية الشريفة وأصحاب كتب الطّبقات ومؤلفو «المغازى» أكبر الممهدين لكتابات المؤرخين فى العصر العباسى ، وذلك حين بدأ المؤرخون يكتبون فى التاريخ العام للعالم ، وتأثروا ـ على نحو ما ـ بنماذج كتب التاريخ الفارسية والتى نقل بعضها إلى العربية مثل كتاب « سير ملوك العجم » الذى ترجمه إلى العربية « عبد الله بن المفقع » المتوفى سنة ١٤٠ هـ..

ومن أقدم مؤلفى التاريخ العام « **ابن قتيبة الدينورى** » الذى كان من كبار العلماء والأدباء فى عصره ، وتوفى ببغداد سنة ٢٧٦ ، وقد خلف ثلاثمائة كتاب فى مختلف فنون المعرفة ، ولكن لم يصلنا منها إلا ثلاثون كتابا ، طبع بعضها ولا زال بعضها الآخر مخطوطاً . ومن أهم كتبه بالنسبة لدارس التاريخ كتاب « **المعارف** » وهو موجز فى تاريخ الخليقة ، والأنبياء ، والعرب فى الجاهلية ، والسيرة النبوية ، وأخبار الصحابة والتابعين ، والعرب ، والعجم .

ولقد عاصر ابن قتيبة مؤرخ آخر عرف بميوله الشيعية هو **ابن واضح اليعقوبى** ، وكان رحّالة ومؤرخا وجغرافيا ، فقد ألف أول كتاب فى الجغرافيا فى العصر الإسلامى وهو « **كتاب البلدان** » ، أما كتابه فى التاريخ فيعرف **بتاريخ اليعقوبى** ، وهو عباره عن جزءين : الأول فى التاريخ العام القديم ، والثانى فى تاريخ الإسلام مرتب حسب ترتيب جلوس الخلفاء حتى عصر المعتمد على الله سنة ٢٥٩ . ولقد توفى اليعقوبى سنة ٢٨٤ .

كان يعاصر اليعقوبي ويسير على نهجه في الكتابة التاريخية مؤرخ آخر ، ونعني به **أبا حنيفة الدينوري** الذى عُرف بكتابه « **الأخبار الطوال** » الذى ألفه على نسق اليعقوبي وانتهى به إلى عصر المعتصم وثورة بابك الخُرّمى وحروبه. وقد توفى الدينوري سنة ٢٨٢ .

ولا شك أن أشهر مؤرخى الإسلام على الإطلاق إنما هو **محمد بن جرير الطبرى** المتوفى سنة ٣١٠ في بغداد. وكان الطبرى قد ولد في طبرستان جنوب بحر قزوين ، ورحل إلى العراق والشام ومصر طلبا للعلم، وقد اشتهر بمثابرته على العمل في التأليف حتى زعموا أنه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين صحيفة [1] . ومن أهم كتبه كتاب التفسير وكتاب التاريخ ويعرف كتابه باسم « **تاريخ الرسل والملوك** » أو « **الأمم والملوك** » أو بتاريخ الطبرى . ويعد هذا الكتاب أول كتب التاريخ التى تتسم بالشمول والعمق في اللغة العربية، وقد بدأ بالخليقة ووقف فيه عند سنة ٣٠٢ هـ ، وقد رتبه على السنين الهجرية واتبع فيه ـ كما أسلفنا ـ طريقة الإسناد إلى الرواة ، ويقال إن كتابيه في التفسير والتاريخ كان كل منهما ٣٠ ألف ورقة ، وقد أشار عليه تلاميذه باختصاره إلى حجمه الحالى الذى هو عُشْر الكتاب الأصلى. ولقد اعتمد الطبرى ـ كما ذكرنا ـ في تأليف كتابه على الكتب التى كانت موجودة حينذاك وعلى ما جمعه من الأحاديث والروايات عن شيوخه وفى أسفاره العديدة . وتبدو من خلال تاريخ الطبرى تلك الصلة الوثيقة بين علمى الحديث والتاريخ .

---

(١) انظر فيما سبق، ص١١٤ .

والمسعودى أيضاً من أشهر المؤرخين المسلمين وأكثرهم مهارة وأطولهم باعا فى علم التاريخ . وقد نشأ المسعودى ـ نسبة إلى جده الأعلى عبد الله ابن مسعود الصحابى الجليل ـ فى بغداد، وتوفى فى الفسطاط بمصر سنة ٢٤٦ . وقد سلك المسعودى مسلكا جديداً فى كتابة التاريخ ، فهو لا يرتب الحوادث حسب السنين الهجرية بل يجمعها تحت رؤوس موضوعات عن الشعوب والملوك والأسرات الحاكمة . ويتبعه فى طريقته تلك ابن خلدون .

وقضى المسعودى الجزء الأخير من حياته فى سورية ومصر حيث ألف « **مروج الذهب ومعادن الجوهر** » وهو كتاب تاريخى جغرافى عظيم القيمة ، لم يقتصر على تناول الموضوعات التقليدية ، وإنما تطرّق إلى تواريخ الهند وفارس والروم واليهود ، فأتى بأشياء جديدة حتى أطلق على المسعودى اسم «هيرودوت العرب». وللمسعودى كتاب آخر هو « **التنبيه والإشراف** » اهتم فيه بفلسفة التاريخ ، وكتب عن التاريخ القديم والتاريخ الإسلامى ، كما اهتم فيه بالجغرافيا ووصف البلدان .

يأتى بعد المسعودى مؤرخ مشهور آخر هو **مَسْكَوَيْه** المتوفى سنة ٤٢١ ، كان فى أول أمره أمينا لمكتبة أحد الوزراء ثم دخل فى خدمة عضد الدولة البويهى، وكان مسكويه يجيد اللغتين البهلوية (الفارسية القديمة) والعربية . وقد ألف كتابه القيّم « **تجارب الأمم** » الذى يبدو فى الأجزاء الأخيرة منه وكأنه اعتمد على مصادر مباشرة ، فقد كان يحصل على الأخبار والمعلومات من كبار الشخصيات التى كانت تحرك الأحداث فى عصره ، وكان هو على اتصال بهذه الشخصيات التى تعد شهود عيان لهذه الأحداث . ويبدأ هذا الجزء المهم من

تاريخه اعتباراً من سنة ٣٤٠ هـ ، أما الفترة السابقة فقد اعتمد فيها اعتماداً يكاد يكون كليا على الطبرى .

وفى الفترة التى كان يعيش فيها مسكويه كان يعيش مؤرخ آخر من بيت المقدس هو **مطهر بن طاهر المقدسى** ، الذى لا نعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد ، وإن كان من المؤكد أنه توفى بعد سنة ٢٥٥ هـ . ولقد ألف كتابا بعنوان «**البدء والتاريخ**» افتتحه ببحث عن التوحيد ، ثم أفاض فى بدء الخلق ، وذكر بإيجاز الحوادث التى تتالت بعد ذلك حتى خلافة المطيع لله سنة ٣٣٤ . وقد طبع الكتاب فى أوربا سنة ١٩١٦ م فى ستة أجزاء .

ثم ألف **أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزى** (توفى سنة ٥٩٧) كتابه الكبير « **المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم** » ، رتبه على السنين ، وجعله موجزا جامعا ، انتهى الجزء العاشر منه بأحداث سنة ٥٧٤ ، وطبع بعضه بالهند.

ويأتى دور المؤرخ النّابه والكاتب الثقة **عز الدين على بن الأثير** (توفى ٦٢٠) الذى ألف كتابه الكبير « **الكامل فى التاريخ** » . ويشتمل الكتاب على تاريخ العالم كما عرفه المسلمون فى ذلك العصر منذ بداية الخليقة حتى سنة ٦٢٨ . ويعد تاريخ ابن الأثير من أهم مصادر التاريخ الإسلامى ، وينطوى على أهمية كبيرة بالنسبة للحروب الصليبية التى عاصر المؤلف فترة منها ، وكذا بالنسبة للغزو المغولى للديار الإسلامية فى سنة ٦١٧ وما بعدها ، والذى عاصر أحداثه يوما بيوم إلى أن اختتم كتابه بسنة ٦٢٨ .

ومن بين المؤرخين الذين عاصروا غزوات المغول وأصيبوا بمآسيها مؤرخ نصرانى هو « **يوحنا أبو الفرج** » **المعروف بابن العبرى** (توفى ٦٨٥)، وقد ألف كتابا فى التاريخ تناول فيه تاريخ الدول الإسلامية إلى أن وصل إلى دولة ملوك المغول الذين حكموا إيران والعراق ، وانتهى كتابه بسنة ٦٨٣ . وسمى

كتابه « **مختصر الدول** » وقد طُبع فى بيروت سنة ١٨٩٠ م .

وفى القرن الثامن الهجرى اشتهر ثلاثة من كبار المؤرخين : هم الذهبى وابن كثير وابن خلدون . **فأما الذهبى** (توفى ٧٨٤) فألف كتابه الكبير «**تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام** » فرتبه على السنين وذكر أحداث كل سنة، وترجم للمشاهير والأعلام وجعلهم على طبقات ، وفقا لحروف المعجم.

وأما ابن كثير[1] (توفى سنة ٧٧٤) فألف كتابه الجامع « **البداية والنهاية**» فى أربعة عشر جزءا ، ورتبه على السنين .

وأما ابن خلدون (توفى ٨٠٨) فقد ألف كتابه « **العبر وديوان المبتدأ والخبر**» مستهلاً إياه بمقدمة ممتازة ، هى المقدمة التى عرفت **بمقدمة ابن خلدون** ، وهى التى وضع فيها لكتابة التاريخ منهجا جديدا من نقد الحقائق وتعليلها ، وجعل المجتمع وتكوينه ونظمه وتطوره موضوعا للدراسة العميقة والتفكير الحر . غير أن ابن خلدون لم يطبق هذا المنهج القويم على ما كتبه من موضوعات تاريخية فى الأجزاء الباقية من كتابه التى عرض فيها لتاريخ العرب والبربر . وإن كان الجزء الخاص بتاريخ البربر والأسرات الحاكمة فى شمال إفريقية يعد قسما أصيلا يمتاز بحسن تصنيفه وتتبعه أخبار كل دولة منذ قيامها إلى نهايتها . وقد طبع الكتاب فى سبعة أجزاء ، وطبعت مقدمته منفصلة عدة مرات .

المصادر الجغرافية

سبق أن قدمنا أن المؤلفات الجغرافية العربية تضم معلومات فى غاية القيمة

(١) انظر ما سبق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

ينبغى الإفادة بها فى الأبحاث التاريخية ، فقد كان مؤلفوها يوجهون عنايتهم إلى وصف البلاد وطبيعتها الجغرافية وعادات أهلها ومعتقداتهم وما يشتهرون به من حرف وصنائع ، لذلك كانت هذه الكتب الجغرافية تعد سجلاً حافلاً بالحالة التى كان عليها العالم الإسلامى فى الوقت الذى أُلفت فيه هذه الكتب.

وقد عنى المستشرقون بهذه الكتب فأخرجوا منها سلسلة تكونت من ثمانى مجلدات عرفت باسم « المكتبة الجغرافية العربية » من أهمها المصادر التالية :

١ - الإصطخرى : مسالك الممالك - طبع ليدن - ١٨٧٠ م .

٢ - ابن حوقل : المسالك والممالك - طبع ليدن ١٨٧٣ م .

٣ - المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦م .

٤ - ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩ م .

٥ - ابن رسته : الأعلاق النفسية ، ليدن ١٨٩٢ م .

ومن بين أهم الكتب الجغرافية التى تزخر بالمعلومات التاريخية :

١- ياقوت الحموى : معجم البلدان . طبع القاهرة ١٣٢٢ هـ .

٢ - الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ،طبع روما ١٩٥٢ م .

ثبت

بأسماء بعض المصادر والمراجع

١ ـ الدكتور أحمد سعيد الدمرداش ، تاريخ العلوم عند العرب، طبع مصر ١٩٧٧ م .

٢ ـ الدكتور أحمد شلبى ، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، طبع مصر ١٩٦٨ م .

٣ ـ أنور الجندى ، أضواء على الفكر العربى الإسلامى، طبع مصر ١٩٦٦ م.

٤ ـ بيفردج ، و. أ ، فن البحث العلمى ، ترجمة زكريا فهمى، طبع مصر ١٩٦٣ م .

٥ ـ جلال مظهر ، علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث، طبع مصر ١٩٧٠م .

٦ ـ حاجى خليفة ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، طبع مطبعة المثنى ببغداد . (بدون تاريخ) .

٧ ـ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، بعض صعوبات تحقيق المخطوطات العربية (تحت الطبع) .

٨ ـ الدكتور الحسينى هاشم ، أئمة الحديث النبوى، طبع مصر ١٣٩٨ .

٩ ـ الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد، طبع مصر ١٣٤٩ .

١٠ ـ روزنتال ، فرانتز ، مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ، ترجمة أنيس فريحة، طبع بيروت ١٩٨٠ م .

١١ ـ الدكتور زكى نجيب محمود ، جابر بن حيان، طبع مصر ١٩٧٤ .

١٢ ـ الدكتور شوقى ضيف ، البحث الأدبى، طبع مصر ١٩٧٢ م .

١٣ ـ الدكتور صلاح الدين المنجد ، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، طبع بيروت ١٣٩٦ هـ .

١٤ ـ الدكتور عبد الرحمن عميرة ، أضواء على البحث والمصادر، طبع الرياض ١٣٧٩ هـ.

١٥ ـ عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها، طبع مصر ١٩٦٥ م .

١٦ ـ الدكتور عبد العزيز الخويطر ، فى طرق البحث، طبع الرياض ١٣٩٦ .

١٧ ـ عبد العليم إبراهيم ، الإملاء والترقيم فى الكتابة العربية، طبع مصر ١٣٩٥هـ.

١٨ ـ عبد الوهاب خلاّف ، خلاصة تاريخ التشريع الإسلامى، طبع الكويت ١٣٩١ هـ.

١٩ ـ الدكتور على سامى النشّار ، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، طبع مصر ١٩٧٨ م .

٢٠ ـ على مظاهرى ، المسلمون فى العصور الوسطى (باللغة الفارسية)، طبع طهران ١٩٧٣ م .

٢١ ـ فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربى ، الترجمة العربية ، لفهمى أبو الفضل ومحمود حجازى (جزءان)، طبع مصر ١٩٧٢ ، ١٩٧٨ م .

٢٢ ـ ـــــ ، محاضرات فى تاريخ العلوم، طبع الرياض ١٣٩٩ .

٢٣ ـ محمد إقبال ، تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ، ترجمة عباس محمود، طبع مصر ١٩٥٥ .

٢٤ ـ محمد حمدى البكرى ، قواعد نقد النصوص ونشر الكتب ، محاضرات للمستشرق الألمانى برجشتراسر بكلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٣ ، طبع مصر ١٩٦٩ م .

٢٥ ـ محمد الخضرى ، تاريخ التشريع الإسلامى، طبع مصر ١٣٥٣ هـ .

٢٦ ـ محمد عجاج الخطيب ، لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر، طبع دمشق ١٩٧٥م .

٢٧ ـ الدكتور محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث، طبع مصر ١٩٧٠م .

١ ـ رسالة الخلود (جاويد نامه) ـ للشاعر والمفكر الإسلامى محمد إقبال ـ دراسة تحليلية نقدية . طبع مصر ١٩٧٤ م .

٢ ـ دولة الإسماعيلية فى إيران ـ طبع مصر ١٩٧٥ م ، ١٩٩٩م .

٣ ـ دراسات ومختارات فارسية ، (بالاشتراك) ، طبع مصر ١٩٧٥ م .

٤ ـ مناهج البحث فى الدراسات الإسلامية والعربية ، مصر ١٩٨٠ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ ، ١٩٩٥ .

٥ ـ علاء الدين عطا ملك الجوينى – حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية – مصر ١٩٨٢م .

٦ ـ تحقيق كتاب « كنز الدرر وجامع الغرر » الجزء الثالث ، فى السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين ـ لابن الدوادارى، بالاشتراك مع المعهد الألمانى بالقاهرة، مصر ١٩٨٢م .

٧ ـ مختارات فارسية – مصر ١٩٨٥م .

٨ ـ صفحات مطوية من الثقافة الإسلامية ، مصر ١٩٨٥م .

٩ ـ دراسات فى تاريخ المغول والعالم الإسلامى ، مصر ١٩٨٧م .

١٠ ـ الأدب المقارن (دراسات فى الأدبين العربى والفارسى)، مصر ١٩٨٩، ١٩٩١، ١٩٩٦م .

١١ ـ اللغة الفارسية ، الجزء الأول: قواعد وتطبيقات تمهيدية، مصر ١٩٨٩، ١٩٩٢، ١٩٩٧، ١٩٩٩، ٢٠٠٠م.

١٢ ـ اللغة الفارسية، الجزء الثانى: نصوص وتطبيقات معاصرة، مصر ١٩٩١،

١٩٩٢، ١٩٩٧، ١٩٩٩، ٢٠٠٠م.

١٣ ـ تطور الفكر الفلسفى فى إيران، محمد إقبال، ترجمة عن الإنجليزية (بالاشتراك)، مصر ١٩٨٨م .

١٤ ـ الفكر الإسلامى فى المشرق، مصر ١٩٨٩م .

١٥ ـ أخبار سلاجقة الروم، لابن البيبى، ترجمة عن الفارسية، نشر مركز الدراسات والوثائق التاريخية بجامعة قطر، الدوحة ١٩٩٤م .

١٦ ـ المشرق الإسلامى بعد العباسيين، الجزء الرابع من موسوعة سفير للتاريخ الإسلامى، (بالاشتراك)، مصر ١٩٩٦م .

١٧ ـ نخبة من آراء مفكرى العرب حول محمد إقبال، مصر ١٩٩٨م .

١٨ ـ من أعلام الشعر الفارسى فى عصور الازدهار، مصر ١٩٩٨م .

١٩ ـ قانون الاقتباس لنصير الدين الطوسى، الترجمة العربية (تحقيق ومقابلة بالأصل الفارسى)، (بالاشتراك)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ٢٠٠٠م.

٢٠ ـ نقوش فارسية على لوحة عربية، (مقالات فى الفكر الإسلامى والأدب المقارن)، الدار الثقافية، مصر ٢٠٠٠م .

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٤٢٧٣ / ٨٠
الترقيم الدولى .I.S.B.N
988